كوبرا الملك

محمد خيري

الكتاب : كوبرا الملك (رواية)
المؤلف : محمد خيري
الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٠
رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٢٦٢٤
الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 017 - 1

الناشر
شمس للنشر والتوزيع
٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة
ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٤(٠٠٢)- ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٠٢)
www.shams-group.net

تصميم الغلاف: محمود ناجيه

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

من أدب الرعب

كوبرا الملك

محمد خيري

شمس
للنشر والتوزيع

الفصل الأول
شريط الذاكرة

كان يومًا آخر من أيام الشتاء التي لاذت بالصمت والظلمة والمطـر؛ الذي يناجي الأمل في تغيير حال القاهرة، هذا الشتاء اختلـف عـن شتاء كل السنين الماضية، ولم يكن شتاءً فقط، ولكن كان شتاءً فـي النفوس، شتاءًا في الحب، في الوفاء، في الكرامة، في الشهامة، في المبادئ، في الأخلاق، (وفي كل شيء بلا استثناء).

من الغريب أن ترى القاهرة في هذه الحالـة ابتـداءً مـن السـاعة العاشرة إلى السابعة والنصف صباحًا، في هذا الوقت ينـام النـاس جميعًا، حتى ضمائرهم، ليتركوا وردية حية لأصحاب الليـل وآخـره، وللأسف، للأسف عندما يستيقظون، لا تسـتيقظ ضـمائرهم معهـم، لماذا؟ لأن يا صديقي هذا هو الشتاء، شتاء٢٠٢٠، الناس أصـبحوا مُدربين على عدم الكلام، عدم الاعتراض، عدم التعبير عـن الـرأي، عدم عدم عدم، حتى يُصبحون عدم.

الساعة الآن العاشرة، تصبح على خير، ولكن بعض أنوار المدينـة، مضاءة كعادة المصريين "القاهرة مدينة لا تنـام"، دعنـا نقـول، إن أغلبية سكانها غرقوا نومًا الآن، غرقوا خلاص! ولكن هذه السـيارة الـ Jeep السوداء، كانت سريعة جدًا بالنسبة للسيارات القليلة جـدًا في الشارع المجاور للنيل في الساعة الثالثة صباحًا! لماذا؟

توقفت السيارة فجأة أمام إحدى الفنادق بجوار النيل، وخـــرج منهـــا رجل يرتدي بذلة سوداء ونظارة شمسية! كان يبدو مغمومًا وعصبيًا للغاية، استدار ليفتح شنطة السيارة من الخلف والتقط حقيبة جلديـــة ومشى باتجاه الباب الزجاجي بسرعة، أوجس حارسًـــا الأمـــن منـــه خيفة، من وجهه الذي كان يحمل كل ما عرفته الدنيا من غل!

عندما وصل إلى الباب حاولوا أن يستوقفوه ولكنه رمى الحقيبة عاليًا داخل صالة الفندق، خُيل لأحدهما أنها قنبلة، فنظروا إليها وهي فـــي الأعلى، كان الرجل - في هذه اللحظة - يُخـــرج مسدســـين كـــاتمين للصوت ليُطلق رصاصتين على الحراس، الذين سقطوا فـــورًا أمـــام الرجل، فدخل بسرعة البرق ليلتقط الحقيبة التي كانـــت ســـاقطة مـــن أعلى واحتمى فيها من الحـــراس الآخـــرين، الـــذين أطلقـــوا بضـــع رصاصات عليه وهو يركض ناحية المصعد المفتوح بسرعة الـــريح، دخل الرجل وانطلق به المصعد إلى أعلى بعد أن ضغط على زر يؤدي إلى الطابق الأخير.

فتح الحقيبة الجلدية وبدأ يُجَّهز بعض المسدسات الفضية النادرة قبل وصوله... في هذه الظروف كان الشاب الغامض، آدم، يحكي بعـــض هذه الرواية، ولو على الأقل لنفسه "فـــي حاجـــات لـــو معملتهـــاش بنفسك، لا يمكن تتعمل، زي الانتقام مثلاً".
فُتحت أبواب المصعد لتكشف صالة "ديسكو تـــك" مليئـــة بالشـــباب، يرقصون في الظلمة وأنوار الليزر، جميعهم كانوا إما ســـكرانين أو، شيء آخر.

مشى الرجل ذو البدلة والنظارة الشمسية في وسط ضجيج موسيقى الـ Death Medal، ينظر أمامه متجاهلاً كل ما يُخيل للإنسان العصري أن يتصوره من رذيلة وإباحية، يمشي في خط مستقيم، وكأنه يعلم أين يذهب، استوقفه اثنان بودي جارد أمام باب زجاجي آخر للقاعة، في غفلة عين فوجىء البودي جارد الضخم برذاذ سام يُبخ في وجهه من الرجل الغامض يفقده الوعي بغتة، والبودي جارد الآخر غرقت رقبته في دمائه بعد أن غرس آدم خنجرًا فيها بسرعة غير ملحوظة، لم يلاحظ أحد المشهد الدموي من ضجة الضوضاء والأنوار الخافتة بالصالة، فتح القاتل ضرفتي الباب الزجاجي ومشى في ممر طويل، استوقفته سكرتيرة أنيقة، وهي تصيح:

- ممنوع يا أستاذ دلوقتي!

لوى الرجل ذراعها وغرس خنجرًا آخر في بطنها ورماها أرضًا، آدم كان يتذكر هذه الفتاة جيدًا فتح بابًا آخر، حيث وجد رجلين أضخم، ذبحهما الرجل بخنجريه بأقصى سرعة وتقدم باتجاه مكتب ضخم يشرب صاحبه سيجارًا فخمًا، استدار هذا الأخير بهدوء تام - وكأنما كان يتوقع قدومه - إلى آدم، هذا الذي نزع نظاراته الشمسية وكشف عن نفسه، كان شابًا في الثالثة والعشرين من عمره الأسود، كان يصوب مسدسه إلى رأس رجل الأعمال الشهير ليُطلق أول رصاصة، ولكن كان هناك بعض الوقت للتفكير واسترجاع شريط الذاكرة، هل كان الموضوع يستحق كل ذلك أم أنه مجرد رغبة في الانتقام؟

لا، كان يجب أن نراجع الأحداث من أولها، كان المفروض أن يحكيها آدم، هذا الشاب الذي أصبح قاتلاً بعد أن كان عاديًا، وميتًا بعد أن كان حيًا.

❖ ❖ ❖

مش عارف إيه إللي كان خلاني اتهورت وضربت الجرس على فيلا شيك في "التجمع الأول"، الهدف كان واضح ولكن القرار كان ممكن غلط، عشان القرار ده غيَّر مجرى حياتي، فتحت لي فتاة آية في الجمال ولكن مشوهة بكل هذه الأوشام والماكياج الغريب، كنت أرتدي بلطو جلد أسود، وقبعة سوداء لكي لا يصادفني أحد أعرفه..

الفتاة : متأكد من العنوان؟

دفعتُ الباب ودخلت لأرى صالة كبيرة مضاءة بأنوار هادئة، ورجال أعمال ورجال دولة يأنسون نساء على البار، فوجئت بمدام تشرب سيجارة طويلة في فلتر أسود ترحب بي، سوسن.. كان قوامها ممشوقا، وعمودها الفقري صلبًا بأناقة، ورغم خطواتها السريعة؛ أعلنت هذه الخطوات أنوثتها الطاغية عبر أصوات كعبها العال الذي طرق سطح الرخام الفاخر.

يتراوح عمرها بين الخامسة والأربعين والخمسين، لأن هذه التجاعيد البسيطة زادت جمالها الأرستقراطي الأصل، زينت رقبتها بعقد من الألماس الفخم، فوق بشرتها البيضاء اللامعة، وأظهر هذا البياض المُغري لون فستان السهرة الجذَّاب الأسود اللون، بنفس لون الفلتر

اللامع الذي احتوى سيجارة فاخرة نفثت دخانًا يداعب عيناها الخضر بسيمفونية إغراء نادرة، لكن هذا النوع من البشر في هذا الموقف يولّد مشاعر الكراهية من صدري بلا حدود، ربما ظنت أنني أحد الزبائن الجدد، فمن يعرف طريق هذه الفيلا، هو بالتأكيد غير مخطىء بالعنوان، ولم أكن مخطىء إطلاقا، فها هي فيلا ١٩٤٨ التي وصفت لي من صاحب الرسالة المجهولة..

سوسن : أنت شكلك جديد هنا! مالك مبتتكلمش ليه، طب ده لو هموم الدنيا كلها فيك ممكن نطلعهالك الليلة!

لم أرد وظللت أمشي وأشاهد، كانت الغيبوبة ما زالت تسيطر على عقلي.

سوسن : آآه شكلك حاطط عينك على حد، طب قوللي مين؟

أخرجتُ صورة الفتاة لتراها فكانت هي سبب ذهابي إلى هناك.

سوسن : بس دي غالية شوية ويمكن مشغولة!

فنظرتُ إليها بغضب صامت وأحستْ هي الأخرى بغضبي.

سوسن : ماشي عشان دي أول مرة ليك هنا مش هنكسفك.

نفخت سوسن دخان سيجارتها بهدوء وانصرفتْ، وذهبتْ عيني لتأخذ صورة سريعة لكل ركن من الفيلا من الداخل، ركن البار الذي جلس أمامه رجال يبدو أنهم مهمين وأغنياء محاطين بنساء عدة يداعبونهم بكؤوس الخمر والضحكات العالية، وركن آخر يحتوي على رجال مشابهين من فئة السلطة الرابعة، غارقين في جو المتعة نفسها

وأركان عده لكل فئة من المجتمع الراقي، وتوقفت عيني بعدما صادفتُ أمامي وجه سوسن عند عودتها..

سوسن : خمس دقايق بس هتستناهم جوه الأوضة لحد ما تجهِّز نفسها وتجيلك.

ووجدت طريقي مع سوسن التي أرشدتني إلى الغرفة بعد أن صعدنا السلالم إلى الطابق الثاني، جلست على السرير في الغرفة، كنتُ أشعل سيجارة أمام النافذة متجاهلاً وجود سوسن التي استشعرت رغبتي في الخصوصية وانصرفت مغلقة باب الغرفة وراءها، هي لم تدخل الغرفة من الأساس.. العُرف ينص على أن كبيرة العاهرات لا تدخل إلى غرف الرذيلة، إلا إذا كانت هي المعنية بممارسة الرذيلة نفسها.. لم أكن أعلم بعد هذا الحوار الذي دار بين سوسن ونادية صاحبة الصورة التي كانت معي.

خارج الغرفة..

سوسن : حظِكْ نار، الزباين ابتدت تيجي على السُمعة.
نفخت دخان سيجارها هي الأخرى..

نادية : مين المرة دي؟

سوسن : شاب عادي بس شكله مرتاح أوي وجيبه مليان، عايز يغيَّر جو، ابسطيه أحسن منظره بيقول إنه شايل هموم كتير.

نادية : ومالـه؟ ما ياما شلنا هموم من الناس، وشكله ده إيه المرة دي؟ ابن وزير ولا مدير شركة ولا رجل أعمال؟

استطردت سوسن بلهجة جادة..

سوسن : يا روح قلبي.. إنتي زمانك عرفتي إن اللي يعرف طريق المكان ده، أقلهم.. واحد من الثلاثة دول!

اضطرت نادية لتحول ملامح الشقاء والضغط والاكتئاب في وجهها إلى رضا وفرحة مصطنعة، وفتحت باب الغرفة، دخلتْ بعد أن أقفلته وراءها، وهي تنظر إليَّ جالسًا أمام النافذة المفتوحة، والقبعة السوداء تُخفي معالمي، تجنبتُ النظر إليها خشية أن أصعق بنوبة غضب عارمة تتسبب في قتلها وإنهاء مستقبلي، زاد غضبي الرزين بعد أن نطقت أول كلمة تعرفت بها على هويتها، هي بالفعل نادية ابنة عمي!

نادية : مش تقفل الشباك عشان ما ناخدش برد؟!

ظللتُ أحتوي الغضب وبقيتُ على وضعي بثبات وبرود كبرود الشتاء، ولماذا هذا البرود الفاحش الذي يجعلني أنتظر كل هذا الوقت؟! ملامح في شخصيتي لم أتعرف عليها بعد، حليم كالثلج ينتظر موسم البركان، لم أكن أعلم أن أشخاصًا غيري يعرفونني أكثر من نفسي، يعرفون، على الأقل أن نتَّقي غضبة هذا الحليم، كلما واجه موقفًا أراد فيه الانتقام، بعث قلبه دماءً حارقة عبر عنقه، لتحتل رأسه وترجف جسمه بالكامل بدون أن يلاحظ أحد، إنه كالقنبلة, هادئة هدوء الصمت التام, حتى إذا آن أوانها, انفجرت في وجه الجميع. وكالثعبان، ينقض على فريسته؛ فقط إذا امتلأ فكه بالسم ورأسه بالغضب، واقتربت نادية أكثر حتى ازداد صوتها حنانًا مصطنعًا، وجدية..

نادية : الليل كله قدامنا (وضعت يداها على كتفي)، مش هتخـــرج من هنا قبل ما تكون مرتاح وراضي.

انسحب جسدي من يداها الناعمتان، لأقف جانبًا وأستدير لها، ونادية التي كانت جالسة على السرير تحدق في ملامحي عبر القبعة، لتكتشف أكبر شعور بالصدمة والخزي والعار في حياتها، والغريب أن كلانـــا تبادل الصمت الغاضب لمدة دقيقة كاملة، الوجه أمام الوجه، وتعبيرات نادية على وجهها تزداد اضطرابًا وخوفًا، حتى فجأة تسبب الضـــرب اللاواعي بالصفعات على وجه نادية بنزيف حاد من أنفها وشـــفتاها، والغريب أيضًا أن هذه الأنثى المغرورة لم تقاومني، عالمة أن بيـــدي أستطيع فضحها أو سترها، ربما لو لم يكن لها أهل، لهربتْ واضطرتْ للجوء إلى الأمن بالخارج!

ولكنك يا عزيزي القارئ لم تسمع شيئًا وأنت تشاهد باب الغرفة من الخارج، سوى بعض الصراخ البسيط، انتهى المشـــهد بنزولـــي أنـــا ومشروع العاهرة من السلالم، واتجهنا إلى باب الخروج من الفـــيلا، قبل أن تستوقفني هذه العاهرة الأخرى..

سوسن : إيه ده؟ (نفخت دخان السيجارة) إنتوا ناويين تروحـــوا فين؟! نادية؟ إيه إللي حصلك يا شيري؟! ده دم؟

تجاهلتُها، وأمسكتُ بيد نادية بشدة، وانـــدفعت بـــنفس السرعة البطيئة إلى نفس الاتجـــاه، فلاحظـــت سوســـن خطورة الموقف وصرخت بأعلى صوتها لتنادي رجـــال الحراسة..

سوسن : يا علي، يا بهايم، حوشوا المجنون ده!

انتبهت إلى العمالقة الذين أسرعوا باتجاهي، وكانت السرعة البديهية التي اكتسبتها من كلية الشرطة تحرك يدي بخفة متناهية، لأخرج مسدسي من جيبي وأشهره على رأس سوسن من ورائي، فتوقف رجال الأمن وأخرج بعض الحضور مسدساتهم، بعد حالة الصمت المفاجئة؛ كدتُ أن أكون في خطر إلى حد ما إذا لم أخرج باليد الأخرى كارت إثبات شخصية بأنني في كلية الشرطة، لتراه سوسن بوضوح ورجال الأمن، ولم يبقى الصمت طويلاً داخل مرتع الفساد.

سوسن : سيبوه يخرج (وابتسمتْ بسخرية)، أنا هاجيبله إللي يعرف يربيه!
وكأن هذا الفرمان صدر من رئيس القوات الخاصة فأعاد الرجال مسدساتهم إلى مكانها وسمحوا لنا بالخروج.

❖ ❖ ❖

لم تتوقف مسَّاحات زجاج سيارتي عن إزاحة مياه الأمطار الغزيرة عن بصري وأنا أوَّصِل نادية إلى بيتها، كان الغضب يخنق رغبتي في الكلام، فلم أتكلم، حتى وصلنا إلى بيتها البسيط المظلم، وتوقفتْ السيارة، وانتظرتُها لترحل، ولكنها أرادت أن تُبرر موقفها.

نادية : الناس دول كانوا هيحققولي حلم كبير وأنت قلبته كابوس.
نظرتُ إليها شزرًا ثم نظرتُ أمامي متجاهلاً، أتحاشى مزيدًا من الانفعال، فكفاني ما عانيته من الماضي البغيض، الذي

أغرقني في الهموم.

نادية : أنا كنت مضطرة وغصب عني، كان لازم أعمل كدة عشان أوصل، اشمعنا أنا؟ ما في كتير غيري باعوا.

وظللتُ متجاهلاً، حتى انتفضتْ من مكانها وخرجتْ من السيارة بغضب وركضت تجاه السلالم، أما أنا فانطلقتُ في الظلام بسرعة كي أصل إلى البيت، البيت الجديد الفقير بالدور الثالث والأخير، ولكن بعد أن ساعدني النظر عبر المطر والظلام أن أخرج من السيارة، تمكنتُ من رؤية أجسام لرجال ضخمة، تكاد عضلاتهم تُمزق الثياب الجلدية التي ارتدوها، وكانت هذه الأجسام تحجب النور عن مصدره الوحيد، عندما استنتجت سبب وجودهم حاولتُ الهرب، ولكن عملاق آخر من ورائي عرقلني لأقع على الأرض الصخرية المبللة، نصفي فاقد الوعي، والنصف الآخر، يصرخ من آلام الضربات المتتالية من كل وحش منهم، حتى انطفأ النور، والوعي كاملة.

❖ ❖ ❖

في نفس الوقت كان كمال، رجل المباحث المهم يجلس إلى جانب رجل آخر بدا مُهمًا أيضًا، وسوسن كانت تُحدث أحدهما ببعض الجدية والاضطراب، على البار.

سوسن : فاكر إن كارنيه كلية الشرطة هيطلّعه من إيدي يا عادل باشا، عايزة الولد ده يتربى!

عادل : الولد ده غلبان بس ما تخافيش الشرطة كلها هنا في بيتك (أنزل كمال كأسه ونفخ دخان سيجاره ثم استطرد في

لكنة أوضحت مدى الثقة بالنفس لصاحب الصوت)

كمال : سيبيهولي أنا يا سوسن!

عادل : وشرفي لأ، مش هو بيتمنظر بكارنيه الشرطة إللي حيلته؟ ما ابقاش راجل إما خليته يترفد من الكلية وأضيَّع مستقبله (أكملت سوسن بدلع ملحوظ)

سوسن : لأ؛ بلاش، كفاية بس يتقرص قرصة تانيـــة زي إللـــي اتقرصها الليلة دي.

عادل : لازم يتعلم مين أسياده لو كان ابن وزير برضه لازم يترفد! (أخرج سيجارة طويلة ووضـــعها بـــين شـــفتيه حيـــث استقرت، وهمَّ بإشعالها)

كمال : وأنا هعمل حسابي إنه مايتعرضش ليكي تاني!

سوسن : جمايلكوا كترت أوي يا جماعة، مش هعرف أردها إزاى!

عادل : ما تقوليش كدة إحنا تحت أمرك!

❖ ❖ ❖

لم أدري كيف ومن أوصلني إلى المستشفى بعد أن عدتُ إلى وعيي، واستنتجتُ أنني كنت أفيق من غيبوبة على السرير، ومازالتْ مناطق في جسدي تؤلمني بشدة من الضربات، فوجئتُ بالرجل الذي رأيتـــه في فيلا سوسن مرتديًا بلطو جلدي أسود ويدخن سيجارًا فاخرًا يدخل إلى الغرفة، ورجال حراسته ينتظرون بالخارج.

كنت أعرف ملامحه جيدًا، ومن حجم الصدمة والغضب، تجنبت الكلام أو العنف، وظننتُ أن فكرة تأجيل الثأر منه ومن أمثاله فكرة جيدة.

كمال : قبل ما تبصلي البصة دي اسأل نفسك أنا جاي هنا عدو ولاَّ حبيب.

نظرتُ إليه باشمئزاز وتظاهرتُ أنني لم أسمعه.

كمال : ضربوك جامد مش كدة؟! باين، بدليل إن جسمك رُبْعُه متجبس.. هم؟ هما قطعولك لسانك كمان؟

ظل ينظر إليَّ وهو يقترب أكثر فأكثر وأنا أنظر أمامي بلا مبالاة

كمال : لو ما اتكلمتش معايا وقلتلي حكايتك إيه مش هعرف أمنع الناس الشرانية دول منك، دول ممكن يئذوك أكثر من كدة وهيضيعوا مستقبلك!

نظرتُ إليه وكان سينطق لساني بكلمة قبل أن أمنع نفسي من الكلام مرة أخرى، وأمنح الثقة في هذا الشخص المشكوك فيه.

كمال : جيت عشان تدافع عن واحدة عايزة تبيع نفسها بالرخيص أوي، بنت عمك، وبدل ما تنقذها فضحتها وأذيت نفسك، عارف ليه لأنك ما كنتش عارف إنها كانت ملكهم، إللي ياخد أي حاجة من الناس دي ياخدوا عمره طبطب بيده الضخمة على كتفي، ضحك كمال ضحكة ساخرة قصيرة، وقال جملة لم أفهمهما..

"بس أنت طلعت راجل جدع يادا!"

ترك كارتًا على الطاولة والتفت نحو الباب لأرى ظهره، ومشى حتى وصل إلى الباب، واستدار وجهه إليَّ ليكمل بعض الكلام..

كمال : إذا كنت عايز تلحق نفسك اتصل بي، أنا عايزك ضروري، ثم استدار وجهه إلى الأمام ورمى آخر جملة كانت هي الفيصل بعد صمت غريب "أنا فاعل الخير"، وأغلق الباب وراءه ورحل، وهنا قد انكشفت لي الحقيقة أو على الأقل جزء منها، كان كمال الذي كتب لي عنوان الفيلا وأبلغني بوجود ابنة عمي بها، وطبيعة عملها تحت توقيع "فاعل خير"، وأغلق الباب وراه

كانوا يومان طويلان في مستشفى المهندسين، أعتقد أن ساندرا علمت كل شيء واعتمدت على نفسها في غيابي، لقد علَّمتها كل شيء، الطهي، الشاي، القهوة، حتى كيف تولع لي السيجارة، وكيف تنهض مبكرًا لتذهب إلى المدرسة، مسكينة هذه الطفلة! وضعتني في موقف الأب لمدة سبع سنين، وهذا هو عمرها تقريبًا، سبع سنين وأنا أب وأم معًا في قالب واحد، كبَّرتني في ريعان شبابي، ثلاثة وعشرون سنة.

منذ سبع سنين تقريبًا كان أبي وأمي على قيد الحياة، وموجودين معظم الأوقات في مصر، منذ سبع سنين وجدتُ طفلة رضيعة على باب ملجأ بجوار فيلَّتنا، تصرخ داخل عربة صغيرة، مبللة كليًا، بماء أمطار الشتاء القاسي، وقتها كنت عامل دماغ صعيدي، جوينتين

حشيش وسلوم وصاروخ وعلبتين بيرة، كنت ماشي بضحك في الشارع لوحدي زى العالم الهبل، وكان لهذه الدماغ سبب، فقد ظننتُ أن هذه الطريقة تنجح للهروب من أزمة عاطفية كنتُ أمر بها، مشيت حتى رأيت الطفلة، ورأيت رسالة مكتوبة بالإنجليزية، من الواضح أن صاحب الطفلة كان ذو ثقافة أجنبية مثلي:

"هذه الطفلة لا تستحق أن تعيش مع أم زانية، أعرف أنني بلا قلب أن أتركها هنا، ولكن أرجوا من أصحاب القلوب الخيّرة الطاهرة أن تحتضنها، إذا علم أهلي بشيء كهذا وأنني فرَّطتُ في شرفي، مصيري سيكون الحياة مع أباها الذي رغب في دفنها حية، الحقيقة لن تُدفن معها، أرجو يا حامل هذه الرسالة أن تتبنى هذه الطفلة البريئة، بعيدًا عني، وعن عاري، وخطيئتي".
نور الشارع كان منخفضًا جدًا، ولذلك أخذتُ أقرأ في الرسالة ربع ساعة، طبعًا، راجل مسطول.

"كنت فين يا أستاذ يا محترم لحد الساعة أربعة الفجر؟!"، صاحت أمي في وجهي بعد أن دخلت الفيلا في الظلام

آدم : على فكرة البنات دلوقتي بيصحوا من النوم الأول بعد كده يرجعوا بيتهم!

أمي : أنت بقيت قليل الأدب ووسخ وسافل، أنا هقول لأبوك الصبح يتصرف معاك! (صمتت قليلاً ثم لاحظت الطفلة التي كانت نائمة في العربة) يا لهوي! إيه المصيبة إللي أنت جيبهالي دي، تكونش عملتها مع واحدة من إياهم و..

تمكنتُ من احتواء الموقف وشرحتُ لها ما حدث..

قرأت أمي الورقة في ضوء الأباجورة الخافت، ثم نظرت إلى البنت ثم فجأة نزل سيل من الدموع، بل أنهارًا من الدموع من عيني أمي التي بكت بحرقة على الطفلة.

"أنا من زمان كان نفسي في بنت"، وأكملت بعد أن تغلبت على الدموع، "يا حبيبتي يا بنتي"، في يوم وليلة أصبحت الطفلة أختي وماما سمتها ساندرا، ومفيش ٣ سنين والدي رجل الأعمال المتجول مات في قصف إسرائيل على جنوب لبنان، كان بيزور واحد صاحبه من زمان أيام الخليج، أما أمي فاكتأبت بعدها وكان من الضروري أشيل جزء كبير من مسؤوليتها ناحية ساندرا، البنت الجميلة ذات الشعر الأشقر والعينان الزرقاوتان والشقاوة غير المعهودة!

في يوم من الأيام بدأنا نسمع عن عودة ناس اسمهم "عبدة الشيطان" همَّا ما بيسموش نفسهم عبدة الشيطان، أطلقوا على نفسهم الـ "*Demons*" والظاهر إنهم كانوا مشكلة حقيقية.. آه أصل العملية ناقصة مش كفاية البلد بايظة لأ! لازم عبدة الشيطان يرجعوا عشان تكمل من مجاميعه! مكنتش مهتم أصلاً، ميرجعوا ولا يتحرقوا بجاز!

في يوم آخر تركتنا أمي أنا وساندرا في البيت كي تقابل المحامي المختص بموضوع الميراث، كانت الدنيا شتاء ومطر، تجاوزت الساعة ١٢، ١ ٢ ٣ بعد منتصف الليل ولم تعد أمي! اتصلت بيها على الهاتف الجوَّال، رد عليا شاب سكران أو ضارب، لم أصدق

نفسي، يمكن والدتي تليفونها اتسرق.

لأ هذا الشاب بدأ يستهزئ بي وبوالدتي ويقذفني بالشتائم، وبعدها توالت ضحكات خليعة، ضحكات أشخاص كثيرون اتسعت عيني على آخرهما ووجدتُ نفسي أفهم كل شيء تدريجيًا.

والدتي اغتُصِبَتْ وقُتلتْ وسُرقتْ، أخذوا كل شيء الـ*Credit Card* والموبايل وكل شيء، سحبوا كل الرصيد ببطاقة الائتمان وتركوا لي الغيظ والكره والرغبة الوحشية في الانتقام، ولكن مِنْ مين؟ وكيف حدث هذا؟ كيف يُسرق كل الرصيد ببطاقة ائتمان لا يَعْرف رقمها السري سوى أمي؟!

كيف يحدث هذا بغير شخص داهية في كسر الرقم السري؟ كيف حدث هذا لكثير من الناس غيري؟ ثروات نهبها الـ *Demons* بهذه الطريقة عن طريق شخص شيطان لا يوصف إلا بكلمة *Hacker* محترم، أو *Virus* قاتل، *Virus* هذا كان هو صاحب القصة الخفية وراء هذا العمل.. اسمه *Virus*! ولم أكن أعلم هذا بعد، عندما علمت في تحقيق النيابة اتضح لي أنهم كانوا عبدة الشيطان الجدد، أمي لم تكن أول ضحية بل كثيرون رجال ونساء وأطفال.

فُرضت عليَّ حياة وحيدة مع ساندرا الجميلة أختي، وبما أن الحيوانات سرقوا كل ما نملك من مال في البنك اضطررتُ لبيع الفيلا لأسكن في حي شعبي بسيط في مبنى مكوَّن من ثلاثة أدوار فقط في شقة صغيرة جدًا في الطابق الثالث، كلما رأيت هذا المبنى الحقير تكرر شريط

السينما هذا في ذهني كل يوم يلعب هذا الشريط كجانب أسود في حياتي.

"مسا الفل يا عرب كفارة"!، سخر مني هذا الشاب المغرور الذي يُدعى سيد الغلبان الذي كان جالسًا بداخل شقته التي ترك بابها دائمًا مفتوحًا.

آدم : أنا كنت في المستشفى مش في السجن زي بتوع السياسة.

سيد : (بدا عصبيًا بعد أن أهنته) أنت بتتريأ؟!
أنت عارف إن الناس إللي بيتسجنوا وتطلع عين أبوهم ويضربوا وبيتهانوا دول أحسن من الشباب إللي زييك، تروح تتكلم وبس!

آدم : الظاهر عليك متعرفش والدي كان وطني قد إيه!

سيد : كان بيتفرج على أفلام وطنية ويتأثر بيها يعني؟
(اقترب مني أكثر واستخدم لغة ساخرة).

آدم : أبويا مات في لبنان! ماتخدش كل الكلام ضدك!

سيد : أنا مش ضد حد، ولا عايز يبقى حد ضدي، وإيجار الشهر يبقى جاهز بكرة.

تركني ودخل شقته وأغلق الباب في وجهي، نعم، يوجد في هذا البلد علمانيين من هذا النوع، ولكن اتضح لي بعدها أنه أقذر من ذلك بقليل، سيد الغلبان هو مالك العمارة، وزميلي القديم منذ أن كنت ملتحقًا بكلية الإعلام، قبل تحويلي إلى كلية الشرطة، والفضل يعود إلى الوسائط وعلاقات والدي القديمة، عندما علم سيد بقبولي بكلية

الشرطة حقد عليَّ كثيرًا، كان دائمًا مولعًا بممارسة العمل السياسي وأن يكون ضابطًا بالشرطة حتى يُصبح الباشا!

هو الآن يمارس التحكم في لأنه يعلم أنني بلا أب وأم، ولن أجد منزلاً آخر يأويني في هذا الزمن الصعب، سيد الغلبان يهوى السياسة، يُناصر العُمال، يدَّعي الديمقراطية حتى يحصل على ما يُريد، هذا ما عرفته بعد قربي منه!

الساعة الآن الثانية بعد نصف الليل، هكذا قالت لي الساعة بعد أن أضأت النور الخافت في بهو المنزل الحقير، فتحتُ باب غرفة ساندرا، طبعًا نائمة لكي تصحو مبكرًا للذهاب إلى المدرسة، لعب نفس شريط السينما المقرف في رأسي عند الأحلام، في كل يوم من منامي كنتُ أرى الكوابيس اللذيذة، وأصحو على رغبة لا نهائية في الانتقام، بل هي لذيذة وشهية، لحظة الثأر! ولكن في هذا الصباح، أيقظني شيء آخر..

أدم قوم بقى! مش هتوصلني بعدما رجعت من المستشفى؟
قالت ساندرا بعد أن أيقظتني بصعوبة، عيناها الزرقاوتان الجميلتان أيقظوني أكثر، مرَّرتُ أصابعي على شعرها الحرير..

آدم : يا روحي أنا لسه جاي امبارح من المستشفى وتعبان أوي!

ساندرا : يعنى هروح المدرسة لوحدي تاني؟!

آدم : هاجي أخذك المرة دي

ساندرا : موحشتكش؟!

آدم : أنت وحشاني على طول

ساندرا : باي باي بقى! أنا عملتلك الإفطار بره
قبلتني على خدي وركضت بيونيفورم المدرسة الأنيق إلى خارج الغرفة، لا أحد يصدق أن ساندرا من جنس البشر، فلا أجد فيها أي عيوب على الإطلاق

قد تستغرب كيف تذهب إلى المدرسة وحدها وتعود وحدها، المدرسة ليست بعيدة ومديرة المدرسة زميلة أمي، أما الذهاب والعودة فالبركة تعود لسائق حافلة المدرسة الذي يعطف على حالنا أحيانًا إن لم تجد مواصلة!

ذهبتُ إلى كلية الشرطة وجاءني أمر من أحد المسئولين عن دفعتنا للحضور إلى مكتبه، كان الضابط العميد مبروك

الضابط : تروح تقتحم شقة مفروشة وتاخد معاك واحدة من جوه، وتستغل كارنيه كلية الشرطة ومش عايزني أشيِّلك السنة؟!

آدم : حضرتك قولتها بنفسك، شقة مفروشة، وبعدين الواحدة دي تبقى قريبتي وده شيء طبيعي إني أدافع عن شرفي
زادت نبرة صوته غضبًا وهو يُكمل..

الضابط : مصر كلها عبارة عن شقق مفروشة يا أستاذ! بتفرق بقى مفروشة إزاي؟ وحتى لو خدتك الجلالة وصدقت

إنك ضابط شرطة، ينفع تدخل بيت مشبوه بدون إذن من النيابة؟

آدم : هو أنا لازم أخذ إذن عشان أحمي سُمعتي؟!

الضابط : أنا مش بتكلم عن رأيك يا بهيم! المفروض كنت تبلَّـغ، لما نقبض على الجماعة بتوعك ممكن بعد كـده تطلَّـع قريبتك من الحكاية زي الشعرة من العجين مش زي ما عملت أنت! طلَّعتها بفضيحة!

آدم : الجماعة بتوعي يا فندم مبيتقبضش عليهم أصلاً

(ارتفع حاجباه بشدة بعد أن استوعب السؤال)

الضابط : يعني إيه؟!

آدم : مع احترامي ليك يا فندم، هما ممكن يحطوا الشعب كله في السجن ومحدش يفتح بقه، حضرتك كنت فاكر إنـي بتكلم على ناس عاديين للأسف الناس المشبوهين دلوقتي بقوا كلهم فوق القانون عشان علاقاتهم واللي بيدّبح في الآخر إللي يقول الحق.

الضابط : اتفضل على بيتكو دلوقتي!

انصرفت بعد أن رن تليفون المكتب، وتلقى الضابط مكالمة سوسـن التي اطمأنت على ضياع سنة هدرًا من عمري، أرادت هذه الحقيـرة أن تعاقبني على ما فعلت، معلش، ساعتها ماكنتش عارف إن الضابط كان برده تابع لشبكة الأسياد، عبد المأمور يعني، وهو حقًا معـذور

ومسكين، من السهل استنتاج أنها كانت أوامر عليا! ولكن الساكت عن الحق شيطان أخرس، وأطرش، وأعمى كمان.

"أكرموا عزيز قوم ذل"، عندما كان والدي على قيد الحياة، لم يكن يجرؤ أحد على التطاول عليَّ، أصبح المثل، اقهروا كل عزيز قوم ذل، معلش، في تلك الليلة كان نومي ثقيلاً جدًا، غرقتُ في بحر أحلام لم أغرق فيه من قبل! أحسستُ أنني ألمس كل شيء كأنه حقيقي وواقعي، ولكن لم يكن هناك شيء سوى السماء البيضاء، وبنت مفرطة في الفتنة والجمال إلى أبعد الحدود الممكنة واللاممكنة أيضًا، كنت أعرف هذه البنت الجذابة، منذ المدرسة، كنت أعشقها، كنت أعشق عيناها الخضر، وحاجباها المرسومان بجمال الطبيعة وشعرها الأصفر الحريري، لا أدري ما هذه العقدة؟ الشعر الأشقر والعيون الملونة؟! شيء غريب!

كنت أعرفها جيدًا، وأحبها من قلبي، وجميع الأولاد يحبونها أيضًا، الجميع بلا مبالغة، لا، لا، دعوني أتذكر، الحلم الجميل، ليلى كانت ترقص باليه في أحضان السحاب وتنظر إليَّ بابتسامة حب ودفئ، كانت هذه النظرات تقول الكثير، لا يستطيع أحد من جنس الرجال مقاومة ما كنت أراه، رقصة هادئة بالبلوزة البادي والبنطلون الأسود والحذاء الزجاجي، وسيمفونية هادئة تحملها في السماء، يااااه! لا أريد من الدنيا كلها، غير أن أضمها إليَّ فقط، لا أريد شيء من حياتي كلها سوى هذا، فجأة رأيت دخانًا أسود بدأ يحيط بها، وموسيقى Death metal عنيفة تعلو، ودخان يزيد، حتى فتحت السحابة

السوداء بابًا لمصدر الصوت، وهي مازالت ترقص بفرح، خرج واحد يشبه الشيطان، جسمه مليء بالتاتوز والأوشام، وآخرون أبشع يحيطون بها ويرقصون معها، وما زالت ترقص بفرح، ظلت الموسيقى تعلوا حتى أصبحت شاشة عرض الحلم، أو الكابوس، سوداء، حتى فتحت عيني على الواقع، ليلى الآن، مع عبدة الشيطان، نعم كنت قد علمت ذلك، كانت طموحة إلى أعلى درجة، خُطبت ثلاث مرات وفسخت بعد فترة وجيزة، في كل مرة كانت تبحث عن علاقات توصِّلها إلى عالم الغناء أو السينما والشهرة، كانت تتأقلم مع كل الناس حتى مع المنحرف، وتركض وراء المصلحة قبل كل شيء، بررت لنفسها عدة مرات أن في نهاية المطاف ستصل إلى هدف نبيل، بما أن كل إنسان صاحب رسالة، ورسالتها هي الفن، فلا يهم طبيعة الطريق الذي ستسلكه! ولا أعلم بالضبط في أي قاذورات تورطت! عمياء كغيرها من جيل الحالمين، ولكن الشيطان أغواها وأقنعها أنها ستفرض ذاتها في يوم من الأيام بهذه الطريقة!

برغم غرورها وتعنتها هذا، ورفضها لكل نصائحي ورفضها لي، كنت أحس أنه مازال في قلبها وقاع نفسها نسبة كبيرة من الخير، ذلك لأنني تعرفتُ عليها قبل أن تُفسد وتشوه، كنت أشاهد حيرتها وهي تبتلع ريقها عندما تحتار في حالها وتخاف من المستقبل، وتبغض الماضي والحاضر، الحاضر الذي فرض عليها أبًا وأمًا أهملوا تمام الإهمال في تربيتها، وأطلقوا لحريتها العنان في التصرفات والملابس وكل شيء، معادلة ظالمة وضَّعها فيها القدر، استغفر الله! لا ذنب

للقدر في هذا! ولكن ماذا أقول؟ هذه الفتاة ولدت في المكان والظروف والوقت الخطأ من أب وأم خطأ أيضًا!

في كل يوم أسمع أن عدد هؤلاء الشياطين يزداد، حتى أصبحوا في مركز قوة وتحكم، إللي هيجنني إني مش قادر أحدد لهم مكان أو توقيت، بس مدام أنا فاضي السنة دي، أنا هتفرغ لحاجة واحدة، حاجتين، البحث والانتقام، اليوم كان مليء بالفراغ، كنت أتساءل لو كانت أمي تراني الآن، رجل مشتت، لا يكلم أحد سوى السيجارة والدخان والبيرة، بعد أن ذهبتْ ساندرا إلى النوم، كنتُ سكرانًا إلى أبعد الحدود، لا أعرف لماذا راودني التفكير في هذا الرجل الغامض الذي زارني في المشفى؟ لا أدري لقد أحسست برغبة مشابهة لرغبته في الانتقام، ولكن رغبة هادئة وصامتة تمامًا.

بدأ عقلي يُحلل أشياء غريبة، عندما رأيت هذا الرجل عند سوسن كان البعض ينظر إليَّ بتعجب إلا هو، فبدا لي أنه لم يفاجأ من وجودي، بل كان ينتظره، وكان وجهه يحاول إخفاء ملامح سعادة خفيفة وراء دخان السيجار، وقلق ذائب في آخر كأس الإسكوتش العتيق، هذا الرجل كان يعرفني، لماذا فعل ما فعل وما دخله باهتماماتي؟! وامتدت يدي إلى الكارت الذي تركه لي، فات الكثير من الوقت ولم اتصل به.

الساعة كانت الثالثة صباحًا، فجأة سمعت زجاج سيارتي السيات العتيقة يتكسر، وجهاز الإنذار البسيط يصيح لينشر صداه في الحارة المهجورة المبللة بأمطار الظلام، نزلت أركض إلى خارج المبنى لأرى ماذا جرى، رأيت شيء، بل أشياء مألوفة، نفس العمالقة الفتوات

الذين تنكروا في ظلمة الليل يتقدمون إليَّ وأنا سكران غير قابل للدفاع عن نفسي، كنتُ غبيًا عندما حاولت الهروب إلى الأعلى، لأنني عندما كنت أطلع على السلالم فقدت الوعي بعد أن وقعت على رأسي، بعدها نامت عيني والرهبة أنستني تمامًا الدرجة المكسورة، هي كانت السبب، على لون الدماء التي كانت تنزف من رأسي وأنفاسي التي كادت أن تكون الأخيرة.

الفصل الثاني

"إليك المعطيات، آدم قد مات"

هنالك لحظات يعلمها الإنسان جيدًا؛ منها اللحظات التي لا يمكن للإنسان أن يفر فيها من الموت، ربما يحسها أيضًا ولكن بعدها يرى الإنسان, وإن كان يحتضر، كل ما كان يتوقعه من عذاب يستحقه إن كان مخطئًا، عندها لا يملك أحد منا شيء سوى التسليم والمشاهدة، حتى يتوقف العرض أو لا يتوقف.

كان هذا حالي في الغرفة المظلمة التي توقعت حينها أنها قبري، عندها استيقظت على صداع فظيع، علمت أنها الحياة الثانية بعد الدنيا، مرحلة من أوعر المراحل في عذاب القبر، أكيد، أكيد كان في جنازتك كل الأقرباء الذين كانوا في الخارج، منتظرين حقهم في الميراث، المهم أنني الآن انتظر العقوبة، أي مظهر من مظاهر التعذيب التي كان يحكيها لنا علماء الدين في الدنيا.

كنت انتظر ولكن لا شيء، القبر كتلة من السواد والحر وقِلة في الهواء، شيء واحد كذَّب نظرية القبر التي كانت في بالي وأكَّدت أني مازلتُ على قيد الحياة، نور الأباجورة التي أضاءها الرجل الغامض الذي زارني في المشفى، وظلت ريش المروحة الحديدية تقطعه ببطء،

النور الذي أضاء نصفه فقط، وهو يمشي نحوي ليهديني ورقة مليئة بالأختام، لم أكن أبالي عن التعرف عليه أكثر، ولكن الورقـــة شـــدت انتباهي.

آدم : إيه ده؟!

كمال : شهادة وفاتك، والصور دي صور عيلتك في الجنازة والصور دي بتاعة مراسم دفنك.

آدم : أنا ميِّت؟!

كمال : رسميًا، رسميًا يا بطل، أي حاجة في البلد دي ممكن تتعمل على مزاجنا رسميًا..

آدم : مرة جيتلي في المستشفى وقلتلي كلام تافه، ومرة أشوفك عند سوسن، والمرة دي جاي تقتلني عشان خاطر شـــوية حَوَش إنت منهم، مقتلتنيش ليه عشان ترتاحوا؟

كمال : الفتوات إللي قابلوك في الشارع كانوا ممكن يقتلوك فعلاً، عشان إللي بعتينهم كانوا اتأكدوا إنك ناوي على الانتقام.

آدم : لو إنت مش من الناس إللي بعتوهم أمَّال إنت مين؟

(أشعل سيجارًا برفق)

كمال : تحب تعرف كل حاجة بسرعة كدة؟

آدم : يا ريت عشان الصداع ما يزيدش!

كمال : على مهلك هتعرف كل حاجة في وقتها، متنساش إنت ميت دلوقتي، وقدامك وقت كبير أوي على ما الصداع يروح.

❖ ❖ ❖

في إحدى البرامج الناجحة التي استقطبت إعجاب الجمهور، كانت تعمل فيه سهير الشربيني مراسلة وأحيانًا مُعِدَّة، كانت جميلة نعم، ولكن تتمتع بقوة الشخصية وصلابة غير محدودة، شعرها الكستنائي كان صديق عيناها الخضر ووجهها الجذاب، كانت تُحافظ على نفسها بعكس الكثير من غيرها.

هي تعرفني جيدًا منذ أن كنت بكلية الإعلام، وبالتالي فكانت تعرف سيد، كنت في بعض الأحيان أميل إليها عندما أصاب بإحباط من علاقتي بليلى، ولكنها كانت الصديقة الصدوقة لسيد، الشخص الذي يأكل عقل الفتيات بالكلام والحضور الاجتماعي، أما أنا فكنت أنا، المنغلق الكتوم الذي يُقدِّر سهير من بعيد، ذلك أيضًا لأنني كنت أعرف أنه إذا اختارت شريكًا لحياتها، فلن يقل عن رئيس أمم متحدة أو ملك أو أمير فاحش الوسامة، باختصار، شريك لا يقل عنها جمالاً، وغنًا، وفي يوم من أيام التصوير في الاستديو في فوضى الكواليس وضجيج الفنيين:

المذيعة : نادر، نادر، الضيف بتاع النهاردة مش بيرد على منى التلفون.

نادر : معلش يا مدام منى، أنا هتصل بيه تاني!

سهير : مدام منى أنا محتاجة أجازة!

منى : تاني؟

سهير : منا قاعدة مابعملش حاجة، فشلت في الإعداد وما فيش

حدث مهم جالي لحد دلوقتي!

منى : هنعمل إيه يعني يا سهير، البلد نايمة، وإنتي المفروض تدوري على حاجة تجيبي شغل منها، مش نسلم للواقع كدة!

سهير : أجازة أسبوع بس

منى : هتعملي فيها إيه؟

سهير : هجمع مصادر عن عبدة الشيطان، أماكنهم، طباعهم.

منى : فعلاً دي حاجة شاغلة الناس جدًا، بس خدي بالك من نفسك، الناس دول ما بيرحموش!

سهير : ده شغلي أنا بقى!

نادر : سيادة السفير تليفونه مغلق، هنعمل إيه فاضل ١٥ دقيقة ونبقى على الهوا

منى : قول لمحمد ينزل بتقرير الأسبوع إللي فات.

❖ ❖ ❖

انتهى الصداع ببداية صداع أكبر، في نفس الغرفة المظلمة في اليوم التالي كان السيجار المرافق للرجل الغامض يحترق بهدوء، التبغ الكوبي الفاخر، وهو يحكي لي بعض الأمور..

كمال : معتقدش إن موتك ده كان أول مرة

(كانت قد مرت ساعات من الحديث عن أحوال البلد)

كمال : تفاصيل حياتك كلها عندي من أول شهادة الميلاد لحد ليلى وساندرا وسوسن.

آدم : إيه حكاية الستات معاك؟!

(ضحك ضحكة باردة من وجهه الكتوم)

كمال : هم إللي بيحكموا البلد، السؤال هو: إيه حكاية الستات معاك إنت؟

آدم : بتسأل ليه ما دام عندك الإجابة؟

كمال : بالضبط، ده إللي أنا عايز أسمعه، ترد على السؤال بسؤال، إنت عارف إجابته

آدم : أعرف طيب إنت مين الأول؟

كمال : واحد!

آدم : أمن دولة؟

كمال : يمكن، ويمكن حاجة أكبر شوية

(بدأت لهجته أن تصبح مخيفة بالرغم من بساطته)

آدم : عايز إيه مني أصلاً؟

كمال : عبدة الشيطان، منفسكش تقابلهم؟!

(بلهفة غريبة)

آدم : أكيد أكيد، بس إمتى؟

كمال : مش مهم إمتى المهم إزاي، إمتى دي تعتمد على سرعتك إنت.

آدم : سرعتي في إيه؟!

كمال : سرعتك في البرنامج، برنامج تدمير الفئة دي من الناس، عبدة الشيطان Demons، اكتشفنا إنه من

المستحيل إننا نحمي الناس منهم أو نسجنهم بشكل شرعي، فاستقرينا على زرع عنصر مخيف بينهم يدمر شبكتهم الأساسية.

آدم : عنصر زي إيه؟

كمال : زيك

آدم : ١٠٠ مليون مصري معرفتش تختار منهم غيري؟ أي واحد في القوات الخاصة أو الصاعقة ممكن يحل مكاني.

كمال : أكبر غلط، لو كنت خدت بالك، أنا لمَّحت إن البرنامج غير شرعي، إزاي أجيب واحد في مركز شك؟!

آدم : وأنا يعنى إللي مش في مركز شك؟

كمال : إنت ميِّت أصلاً، وبعيد عن عيون المباحث، ومقطوع من شجرة.

آدم : هو مش مفروض إنت المباحث؟

كمال : والمباحث مش شخص واحد.

آدم : يمكن أكون عرفت مصلحتي منك، بس إنت مصلحتك إيه في إنك تستخدم واحد فاشل زيي؟

كمال : فاشل دلوقتي بس مش بعد التدريب! إحنا كنا فعلاً اخترنا عنصر غيرك قبل ما اتعرَّف عليك، بس العنصر ده بعد التدريب والتمرين فشل من أول عملية.

آدم : ليه؟

كمال : كان عنده نقط ضعف كتيرة بالرغم من قوته، أفراد عيلته كانوا كتار، وفوق كل ده ماكنش عنده الدافع، مكنش

عنده الجراءة يدخل بيت دعارة ويتحدى ناس كبار عشان يدافع عن مبدأ.

آدم : أكيد إللي أنا فيه ده حلم، إما إنت واحد مجنون!

كمال : لو الجنون هيرجعلك حقك يبقى ليه ترفض؟ أنا رجل قانون وبقولك دلوقتي إن القانون أضعف بكتير إنه يبصلك

آدم : الناس دول كتير أوي هقف لوحدي ضدهم إزاي؟ أنا مش بطل أفلام أمريكية.

كمال : واحد في وضعك هيكون مختلف إلى حد ما.

آدم : إزاي؟

بعد نطقي بهذا السؤال، أضاءت الغرفة نسبيًا بنور أحمر غريب صدر من ضرفتي الباب الذي فُتِح تلقائيًا، وكشف عن بهو صغير به فريق عمل على كل جانب، كانوا حوالي ستة شباب.

وقف أحد الشباب الذين كانوا جالسين أمام شاشات البلازما وبدا سنه قريبًا مني، "في الحقيقة إنت مش هتكون لوحدك الفريق إللي إنت شايفه ده هيكون متابعك عن بعد، آه نسيت أنا اسمي Virus والفريق ده من أكبر الـ Hackers في مصر".

هذا الـ Virus كان كوميديًا بشكل غريب، فانتقالي بالحديث من كمال إلى Virus؛ كان أشبه بتحويل فيلم رعب إلى فيلم كارتون، فهو نحيف للغاية ووجهه طويل كأنفه الذي يحمل نظارات سوداء، على النقيض، لطفي سمين أبيض الوجه بشعر ناعم.

كمال : من الشباب إللي مش لاقين شغل بعدما اتخرجوا من Computer Science، وبيشغلوا وقت فراغهم بالـ hacking، أي شبكة في الوطن العربي متعصاش عليهم

آدم : والفريق التاني؟

أطرق لطفي بسرعة كمن توقع السؤال

لطفي : خبراء أسلحة، ومخترعين وأنا لطفي كلية علوم AUC.

Virus : والـ AUC يعني الجامعة الأمريكية على فكرة.

(علَّق لطفي على كلامه بطريقته الكوميدية الخاصة)

لطفي : يخرب بيت فكاكتك!

آدم : كلكوا شباب!

لطفي : كلنا مش لاقين شغل قصدك!

Virus : إحنا اكتشفنا إن بعد فترة مش هيبقالنا مكان فوق، لو فضلنا ساكتين هنلاقي الشباب كلها عاملة دماغ عبدة الشيطان.

كمال : فعلاً إحنا دلوقتي تحت الأرض جنب محطة قطر في المقطم، المقر ده كانت المخابرات بتستعمله زمان

وها هو باب من الألغاز يُفتح، كنتُ خائفًا من هذا العالم غير الواقعي، تحت الأرض، وأنا ميت، ومن المفروض أنني استعد لشيء أجهل تمامًا كيفية تحقيقه! سؤال واحد شغل بالي حينها، ماذا بعد؟!

❖ ❖ ❖

في جو من الـ Black Metal والظلمة المتلاعبة بالليزر الذي كان يُشعل قاعة الـ Discotech، كان يرقص شباب سكرانين، أغلبهم تعاطو نوع جديد من المخدرات التي تُحقن في الوريد، مخدر يُدعى Venom، صاحب هذا المكان رجل أعمال فاحش الثراء يستغل هؤلاء الشباب كمصدر للمال. نعم، فهم أولاد أغنى أغنياء مصر.

عزت رجل أعمال لا ولم ولن يكن له منافس في هذا العصر، لا أحد يعرف قيمة ثروته، ولا أحد يعلم أنه الأثرى بلا منازع، ولذلك حكمة، حتى يضمن الاستمرار، هو الذي يؤجر الملاهي للـ Demons في الخفاء عن طريق الخنفساء الذي يُسمى Max Melon، وهو الذي ارتكب أكبر جرم ممكن، ترويج الـ Venom، لا أحد يعلم أين صُنع هذا المخدر الأخضر السريع الإدمان، مصادر صحفية صرَّحت أن شحنة منه ضُبطت بسيناء، وكانت آتية من، دعنا نقول الشرق "عزت رافع"، يمتلك أكثر من صالة ديسكو وتُعتبر مقر لعبدة الشيطان في جميع أنحاء القاهرة، أما Max Melon وهو مصري عامل شعره ديل حصان وجسمه مشوه بالأوشام هو همزة الوصل بين رجال الأعمال الفاسدين والشباب المسيطر على شوارع القاهرة.

عزت : أنا مش لسه عامل حفلة للشواذ دول من يومين؟

Max : وهما عايزين يعملوا حفلة تانية قبل ما يسافروا.

عزت : المهم إن الVenom يكون عامل سوق معاهم وإلا أنا

مش هفضل أصرف عليهم من غير مقابل.

Max : عيب، أمَّال أنا بعمل إيه؟

عزت : إنت بعت آخر مرة لمجموعة مين؟

Max : مجموعة Joe إللي تحت الأرض في الديسكو هُمّا أكبر مجموعة دلوقتي، شطار أوي شاطوا ٨٠ بت في أسبوع و١٥ واد دلوقتي، أكيد الـ Venom ميقدروش يعيشوا من غيره.

نظر عزت من النافذة الزجاجية الواسعة خلفه ويتأمل مجموعة بالأسفل كانوا يمرحون في صالة الإباحات والموسيقى العنيفة، وأكمل Max تقريره..

Max : بعنا فوق الـ ١٥٠ فيلم جداد DVD Quality

عزت : المهم يكونوا مبسوطين

عزت هذا، لا أحد يرى وجهه، دائمًا وجهه بالظلام وراء مكتبه، Max لا يرى وجهه، على الأقل، أنت لا ترى وجهه، ظهره فقط!

❖ ❖ ❖

واستكمالاً لجولة كمال بنفس الغرفة، زاد فهمي لأشياء كثيرة، فكانت الأسئلة كالمطرقة على رأس كمال، وهذا الأخير لا يمل وكأنه قائد يجند ولده

آدم : والناس دي ملهاش أهل؟

ضحك الجميع مرة واحدة

كمال : أهلهم حاجة من الحاجات دي؛ إما زيهم وعايشين في الحياة السبور، أو ما ميقدروش عليهم، أو ميتين، أو مسافرين ولا منفصلين مثلاً.

آدم : ومفيش حد يقدر عليهم ليه؟

كمال : عشان في أيديهم سلطة، ومعظم الناس العادية دلوقتي ماشيين على سيمفونية واحدة، "خليك في حالك، وامشي جنب الحيط، مش ناقصين مشاكل، كفاية المشاكل إللي إحنا فيها".

آدم : إيه إللي بيعملوه غير السرقة والمخدرات؟

كمال : كل حاجة، شذوذ، قتل، أفلام جنسية، كل حاجة تخطر على بالك، بس في حاجة غريبة، الموسيقى بتاعتهم، هما إللي بيألفوها وتعتبر عنصر مهم في حياتهم، حاجة غريبة كمان إنهم كتير بيتكلموا إنجليزي بس، طبعًا كله تحت تأثير المخدر الفظيع.

آه، طبعًا، كمال تحدث كثيرًا عن الـ Venom، المخدر الذي إذا تعاطاه إنسان، صوَّر له أن كل ما يرغب فيه مباح! فإذا أعجب بامرأة أو سيارة أو مجوهرات سرقها، وإذا غضب من أحد قتله، وإذا قرر أن يسعد عاش أفضل لحظات السعادة في عالم غائب عن الوعي والتقدير، فالـ Venom يكسر حاجز العيب والحرام والرحمة والمستحيل إذا تطلب الأمر.

❖ ❖ ❖

كان الـ Demons كعادتهم يُنظمون لحفلٍ ساهر بحضور الفرقة الخاصة بهم، ويُقام فيها كل الطقوس البغيضة، قد تسأل نفسك، هل يستطيع أي شخص حضور هذا الحفل؟ هذا ما سألته سهير لنفسها قبل أن تتوجه إلى شباك حجر التذاكر بممر خاص بشارع عَفِن، يحتله الـ Demons ولكنها لم تكن تعلم أن مثل هذه الحفلات، هي فقط للـ Demons لا غير، " Can I get an invitation for your live concert at saturday"?، هكذا سألت سهير أحد أفراد عبدة الشيطان الذين كانوا يبيعون تذاكر حفلة الـ Hard Rock، نظر إليها الشاب باحتقار، وفجأة جذب ذراعها ليُلقي نظرة، ورد بعنف: " You wonna get in, you get a tattoo… and get this freakin nerdy style off!". "إذا أردتِ الحضور ضعي الوشم وتخلَّص من منظرك الملتزم هذا!".

تركت سهير الطابور المزدحم بشياطين الإنس، وذهبت تصوِّرهم من بعيد بالكاميرا الرقمية الصغيرة، لكن وهي تُصور كانت تسأل، هل هذا الوشم القبيح على ذراع الكل وثيقة ضمان تثبت ولائي للشياطين، أو تورطه معهم على الأقل؟! علِمَتْ بعدها أن هذا الوشم يُرسم على ذراع الضحية فقط عند تناول أول جرعة Venom عند Joe، فمن يضعه فقد أصبح من العائلة، فراودها سؤال آخر، "لماذا لا أضع واحدًا مصطنعًا كي أكمل مهمة التقرير الصحفي؟"

❖ ❖ ❖

وعودة إلى غرفة القطار، كان أول لقاء غير مباشر بيني وبين أفراد الأوباش، وعرَّفني بهم كمال.

"Joe، الملك والأب الروحي لفرقة عبدة الشيطان إللي بتزيد كل يوم، متهور لما يغضب بصفته الـ Boss بتاع الشباب الخربانة، هو إللي بياخد القرارت إللي تخصهم"

قال كمال وهو يعرض تصوير فيديو قصير لـ Joe على شاشة عرض الـ Datashow في الظلام.

آدم : ليه كل الـ Tattoos دي في جسمه؟!

وكانت هناك الكثير من العروق الزرقاء المرسومة على وجهه وجسده مما أوحت أنه ميت، وكان في بعض الصور يرتدي قناع على شكل جمجمة إنسان.

كمال : الـ Tattoos علامة مهمة جدًا ليهم، كلهم لازم يحطوها، Joe صاحب أذكى مجموعة، بيعرفوا يوقَّعوا ناس كتير في شبكتهم، أي ولد "يكبل" مع بنت بره ويبقى الـ Boy friend بتاعها، بيوَقَّعها تحت تأثير الـ Venom، مخدر يؤدي إلى الإدمان من أول حقنة، علاجه عايز شهور، بالتالي يبقى قدَّام الشخص ده حاجتين، إما يكمِّل مع مجموعة Joe ويعيش حياته ينفذ كل أوامره، وإما يحاول يتعالج بصعوبة وألم، الأشخاص إللي بينضموا ليهم بيكونوا مصدر انتفاع هايل، بيخدموا إما سوق الدعارة أو المخدرات أو الأفلام، وطبعًا المكسب رهيب.

نحيف للغاية، ولكن ملامح وجهه مخيفة، الحِلقان وجـــدت طريقها إلى أنفه وأذنه وشفتاه وأحاط الكُحل عيناه، غيَّـــر كمال عرض الفيديو ليريني شخصًا آخر قبيح جدًا.

كمال : B-Joint شخصية مجنونة، أشهرهم في الشلة، هـــو ده إللي اغتصب والدتك يا آدم.

لعب نفس الشريط في رأسي مرة أخرى وأنـــا أتخيـــل B-Joint هذا الخنزير!

كمال : ٦٩ الرقم، هو نفسه اسم الشهرة، راجل ضخم زي ما إنت شايف، وفتوة الشلة، مبيشربش غير الخمور، ودي نقطة ضعفه، أما البنت الشقية دي، بنت منحرفة بكل المقاييس.

كانت تعرض صورة لفتاة شوهت جمالها بالحِلقـــان فـــي وجهها والأوشام على جسمها نصف العـــاري، وممســـكة بكرباج أسود كملابسها.

كمال : أحد أغنى أغنياء مصر، بتمارس كل شيء بـــلا مبالغـــة، هوايتها المفضلة الجنس السادي، بتعشق الألم والتعـــذيب بالشمع اسمها Pain Fetish، أما Giganti فهو نـــص راجل ونص ست، حالة أو ظاهرة جديدة من البشر، واحد زيه عايش حالة نفسية ما بين الأنوثة والرجولة

لم يؤثر في كل هذا أكثر من رغبتي بمعرفة ماذا حدث لليلى، خفـــق قلبي بعنف عندما علم كمال عن هذه الرغبة دون نطقي بكلمة، فكيف أحس أن جزء رئيسي من موافقتي على الانتقام، كانت ليلـــى ســـببًا

أساسيًا فيه؟

آدم : وفين...؟

كمال : ليلى، كنت عارف إنك بتفكر فيها، وغالبًا مبتفكرش في حد غيرها.

عرض كمال صور فيديو لليلى، وهي تضحك مع بعض الشباب على البار، وفي لقطة كان أحدهم يحقنها بسائل أزرق فسفوري في ذراعها واخترق صوت كمال المشهد.

كمال : لسه بتحبها؟!

في برود تام، أهمل كمال شاشة العرض وقاطع إحباطي بنبرة مستهترة، سقطت دمعة غيظ وأنا أشاهد.

كمال : إنت بتحب مدام دلوقتي، واحدة ليها خبرة في كله أكتر منك. كان صدري يعاني من الاختناق من قلة الهواء، ورأسي كاد أن ينفجر، فاكتفيت ساعتها بما رأيته وأحسسته!

آدم : ممكن امشي؟ لوحدي؟!

لم أدري كيف قادني لطفي في استجابة سريعة بموافقة كمال إلى الخارج، ثم عَبَرَ طريق القطار المهجور، ثم إلى الشارع بالأعلى، تأكد لطفي مني أنني سوف أعود ليلتها بعد أن اتخذ القرار، فمضيت.

نزلت إلى الشارع، حيث المطر، وجيش الدموع، البلل والملل والغيظ والحريق الذي حارب برد الشتاء، والليل وفتيات الليل وملاهي الليل الكثيرة، انتقيت ملهى منهم على النيل اعتدت أن أذهب إليه منذ وفاة أمي، وعلى البار، شربت فوق طاقتي، علبة السجاير خلصت، كنت

محتاج سيجارة تانية، مكنش فيه غير واحدة قاعدة ورايا شكلها مُلعَب ومستنية الفرج، عمرها تقريبًا في الأربعينات، وكانت بتحرق سجاير كتير.

"آنسة، تسمحيلي بسيجارة؟"، سألتها بسرعة

لمياء : آنسة؟! ها ها ها ها!

ضحكت بصوت عالٍ كاد أن يلفت الأنظار في البار، ووجدت نفسي أندرج معها في حوار غريب..

لمياء : إيه اللهجة القديمة دي؟! ده إنت معتق آخر حاجة!

آدم : سيجارة بس!

لمياء : وتقدر تديني إيه مقابل السيجارة؟

آدم : أنا آسف، ماليش فيه

لمياء : طب هديك سيجارة بس تشربها معايا!

آدم : أوكيه، إنت شكلك وحيدة(جلست على الكرسي المجاور).

لمياء : بلقَّط رزقي، للأسف مفيش عرب ومفيش سوق ليا!

آدم : (وأشعلت سيجارة) إزاي بقى؟ ده إنتي شغالة وتكسبي أكتر من أي حد!

لمياء : إنت مش عايش في الدنيا بقى!

آدم : ليه؟!

لمياء : شايف الشلة إللي ورايا دول؟ (وجدت مجموعة من الشباب يرتدون ملابس جلد اتخذوا ركنًا في البار وعلِمت أنهم الـــ Demons وملطخين بالأوشام)؛ هم دول

الموضة الجديدة

آدم : عبدة الشيطان؟!

لمياء : ده الاسم الرسمي، بس اسمهم الحقيقي هو الديمونز (Demons)، عبدة الشيطان ده اسم ظاهري، استولوا على كل حاجة، الدعارة، المخدرات، كله! أما إحنا بقينا موضة قديمة

آدم : وليه ما بقتيش منهم؟

لمياء : شُغلتي مزاج وذوق وحب، الشباب دول فيهم حاجات كتيرة مختلفة، المخدر إللي بياخدوه بوَّظ دماغهم، والعملية مبقتش فن خلاص دي بقت اغتصاب وسرقة ودم، بقى قرف وشياطين

آدم : لو تعرفي أنا اتأذيت منهم قد إيه، لو كنت بس خدت الفرصة

لمياء : فرصة إيه؟

آدم : أدمرهم

لمياء : ها ها ها

آدم : إيه مش مصدقة؟

لمياء : مصدقة إنك مجنون الحكومة نفسها مش عارفة تمسكلهم غلطة عارف ليه؟ عشان هم الحكومة، في الشارع، ها ها ها، تقوم إنت يا مفعوص تدمَّرهم لوحدك؟

آدم : ولو عندي الفرصة والإمكانيات ورفضتها؟!

لمياء : برده مجنون، بصلهم كويس، دول ناس ما يستاهلوش

يعيشوا يا حبيبي مفيش منهم أمل، ترفض ليه؟ ده طبعًا لو لغينا حاجة اسمها قانون!

آدم : مفيش حل تاني غير الموت؟ مش ممكن في يوم يتوبوا؟

لمياء : مفيش أمل، سكّتهم سكة إللي يروح ميرجعش، التوبة دي مانفعتش معايا هتنفع معاهم؟

آدم : بس ده الـــ..

لمياء : بصلي كويس بص في عينا متتكسفش أنا مومس صحيح، أنا واحدة فاهمة الدنيا كويس وأعرف البني آدم من قبل ما ينام معايا، إللي قدامك دي ست عاشـــرت مهندســـين ودكاترة وموظفين ومديرين وتجـــار ووزراء ومحـــامين وشباب في سنك كمان أما الناس دول، بحكـــم خبرتـــي، أحسن حل ليهم الموت وبسرعة.

وبدأت لحظة صمت وعيناي تتحول من النظر للشـــياطين إلى عيني المرأة المخيفة، حملت هذه اللعوب كثيرًا مـــن الجدية والغل في عيناها المحـــاطين بكحـــل الليـــل، ثـــم أغمضتهما وعادت بهما إلى الحقيبة الشخصية وأكملـــت كلامها بطريقة طبيعية.

أنا فاضية النهاردة

وقفتُ فجأة وهممت بالانصراف

آدم : أنا مش فاضي، في ورايا حجات مهمة

استوقفني في طريقي ضـــجة حفلـــة Death Metal لفرقـــة الـــــ Demons الفرقة الشرعية لعبدة الشيطان، ومعظم أعضائها من شلة Joe الكبرى، الفضول فرض علي الدخول وحضور الحفل، بس نظرًا لأن هدومي ومنظري "السيس" كانوا ما يدلوش على إني واحد مـــن الـــ Satanists (عبدة الشيطان) إديت ١٠٠جنيه للشاب إللي علـــى شباك التذاكر، وجريت جوه على الزحمة إللي غرقت في بحر الظلمة حيث كل شيء مباح، طبعًا إنت فاهم يعني إيه كل شيء! الVenom كان بياخده كل الألفين شخص إللي في الكونسرت مفـــيش إلا مكـــان واحد بس تقريبًا منوَّر، البار، مشيت بصعوبة في الزحمة وضجة الـــ Metal لغاية ما قعدت على كرسي، وطلبت المشروب المعتاد قبل ما اسمع صوت واحدة، كنت فاكر إني عارفها كويس..

سهير : إنت بتعمل إيه هنا؟!

صرختْ لأسمعها بوضوح، وجودها أشعل صدمة شتات داخل نفسي، وتجاهلتها حفاظًا على كرامتي، ففي كثيـــر من الأوقات، كانت هي الأخرى تعاملني معاملـــة بنـــت الباشا لابن البواب!

مبتردش ليه؟! مش فاكرني؟

آدم : المشكلة إني مقدرش انساكي! خلاص بقيتي منهم؟

سهير : بعمل تقريـــر تليفزيـــوني عـــن الـــــ I'm Demons undercover

آدم : إنتي كمان لحقتي تشتغلي؟! طبعًا ما إنتي والدك وصايته

كتيرة!

سهير : أنا حتى مُعِدَّة لبرنامج تليفزيوني!

آدم : أحسن من ناس كتير مش لاقيين شغل!

سهير : إنت بتعمل إيه هنا؟!

آدم : بهلِّس! إيه بقى مشكلة الناس دول؟

سهير : مشكلة الشباب الدول إن معندهمش مشاكل، ودي النقطة الأساسية إللي بيستغلها أصحاب المكان ده!

اقتربت أكثر منى بغير عادتها، وصرخت عبر الضوضاء

سهير : Satanists 3500 من أغنى ناس في البلد!

نظرتُ إليها باستهتار.

آدم : أغنى منك؟

سهير : إنت مالك يا آدم متغير أوي إنت مكنتش كده!

آدم : وإنت كمان عمرك ما عرفتيني إلا عشان مصلحة!

خلَّصت علبة البيرة وتركت الحساب ومشيت من البار، معبَّرتش سهير زي ما كانت زمان مبتعبرنيش، وأنا خارج لقيت الشيطان الكبير Joe قاعد على كرسي عالي كأنه كرسي عرش، وحواليه شلة بنات قاصين شعرهم الأسود والأزرق ومشوهين شفايفهم باللون الأسود وأجسامهم العارية بالتاتوز، المرة دي لعب شريط السينما إللي عرضه عليا كمال في راسي مع شريط مأساتي، بعد ما شفت كمان B-Joint و Pain Fetish، و٦٩ وناس كتير، كانت ليلى قاعدة على كرسي قريب في حتة ظلمة مع شاب سيس تاني بتضرب سيجارة ملغمة أكيد، وكـــان

ظهرها باين وهي قاعدة، قربت منها وشديت البلوزة لتحت عشان أغطي الحتة المكشوفة من ظهرها، والمفاجأة كانت قوية بالنسبة ليها لما شافتني..

ليلى : آدم! هل هذا معقول؟ ماذا تفعل هنا؟!

الدم كان بيغلي في عروقي، بالذات وأنا شايفها منسجمة مع شاب خنفس من الـ Satanists، بصيت لها بغضب ومشيت، قبل ما أولَّع سيجارة تانية قدام Joe، إللي لاحظ إني واقف ببصله شذرًا من مدة، تمام زي بقية الشلة الضاربة، مشيت وسبت ورايا الانطباع إللي خلاهم ابتدوا يخافوا.. احتمال.

Fetish : Who's dat weird son of a bitch?

(ابن العاهرة هذا من يكون؟)

B-Joint : Seems like one old boyfriend of Layla's

(يبدوا أنه رافق ليلى ذات مرة).

الفصل الثالث

مركز التدريب

"هاها، دلوقتي وبسرعة لو حبيت"

هذا ما قاله كمال بلهجة مرحة بعد أن أبلغته بموافقتي على البرنامج، وانخرطت بعدها فيما سموه "التدريب"، لم أدرك كيف مرت فترة التدريب بسرعة بالرغم أنها كانت قاسية جدًا، مازلت أتذكر الترتيب حسبما قاله لي شريف مساعد كمال، طبعًا! ما هو كمال مش فاضيلي أنا على طول، شريف كان شابًا في الثلاثينيات، أسمر وصوته ضخم، وفي زنزانة المقطم..

شريف : هنبدأ واحد، اتنين، تلاتة؛ واحد تحمل الصدمات والضرب بدون اللجوء للأسلحة، اتنين محاربة خصم بسلاح بسيط، واحد واتنين هيعتمدوا كليًا على معالجة الحالة النفسية وسرعة رد الفعل مع الخصم، تلاتة استعمال الكماليات، والأسلحة، أربعة تبطل سجاير عشان، تبدأ في التدريب.

قال ذلك بعدما انتشل السيجارة من فمي ورماها.

وجدت نفسي بعد ١٢ ساعة داخل سجن قضبانه طويلة، والأرض مليئة بالبرسيم، كأنني في قفص أسد داخل كتلة من الظلمة، ومصباح واحد فقط مُعلق من السقف، خلفي كان ثلاثة؛ الخالق الناطق الذين

رأيتهم مرتين من قبل يقتربون مني، التفت حولي لأكلم كمال الـذي كان وراء القضبان بالخارج، وكانت يداه في جيوبه.

آدم : تاني؟

كمال : عشان تواجه الشياطين لازم تتعود على إنك متخافش منهم، اتعلم تدافع عن نفسك

مع آخر كلمة كان واحد منهم على مسافة متر واحد فقط مني، بسرعة خارقة، قفزت باتجاه القضبان، ضربت القضبان برجلي لأقفز بجسمي للأعلى، وبالرجل الأخرى ضربت الغول الأول في أنفه ليقع على البرسيم، زادت ثقتي في نفسي بعدها! الثاني ركض إليَّ وكان طويلاً جدًا، وقَرتُ على نفسي التعب وضربته بشدة بين ساقيه، طبعًا سقط مشلولاً، الثالث مالحقتش أشوفه! لأن اللكمة التي كافأني بها كانت قوية لدرجة أنني تقريبًا فقدتُ البصر، الثلاثة بعدها قاموا وأكملوا الضرب في وأنا على الأرض حتى استكفيت، استكفيت من ألم لا تتحمله أمة البشر! وقتها كان كمال يقول في نفسه: «كويس ما كنتش متوقع أكثر من كدة!».

فايرس ولطفي عاشوا شهور داخل مقر المؤسسة تحت الأرض، مبتذلين بعض الشيء في مزاحهم كي يخرجوا من حالة الكآبة المستديمة، الغريب أنهم رفضوا الإفصاح عن طريقة تعرفهم بكمال (الأب الروحي)!

لطفي، مجنون الاختراعات، أخدني في جولة تدريب أخرى، بعكس باقي المدربين، أستطيع أن أقول عن هذا الشاب إنه "مسخرة، مسخرة بجد!"، في نفس بهو الظلام الذي كان يعمل فيه بدأ جولته..

لطفي : لازم تطوَّر من نفسك، إنت كنت في كلية شرطة، وكمال هيخرجك من هنا على مستوى أفضل محارب في القوات الخاصة ويمكن أحسن، أنا دلوقتي دوري أوريك إنك ممكن تستعمل أجهزة زي إيه، ممكن تساعدك، إيه هي أفضل وسيلة للهروب، الجري التخميس، وشأط الحريم؟!

آدم : العربية

لطفي : عربيتك كانت إيه؟

آدم : ١٩٦٧ Seat، Hachback

لطفي : مش شايف إن المفروض واحد بطل زيك يركب حاجة مواكبه للعصر؟ خصوصًا وإحنا معديين عُشرميت سنة بعد الـ ٢٠٠٠؟ ها؟ سيبك من زبالة إللي كنت راكبها.
(فتح لطفي باب كبير ليكشف غرفة مضأة وفي نصفها سيارة آخر طراز)
ميه تمانية وعشرين، ١٢٨، ابتكاري الخاص، من صنع Fiat ١٩٧٥.

آدم : كدرتني!

لطفي : إيه رأيك ناخد لفة؟ ونشد مع الواد Virus؟

❖ ❖ ❖

في نفس القفص الكبير كانت تقام دورة أخرى في الظلام، ولكن هذه المرة كان المبارز فرد، والغريبة أنها أنثى، بُشرى ذات الشعر الأسود والوجه الشاحب، والجسم النحيف، والشومتين اللتين كانت تمسك بهما وتتلاعب بهما بخفة ومرونة..

آدم : كمال، عايز إللي تدربني واحدة ست؟

بشرى : أول درس هعلمهولك، إوعى تستهتر بخصمك، إنت دلوقتي مش مسلح، وأنا معايا حاجات بسيطة، حاول تدافع عن نفسك

آدم : أنا الموضوع كله إني خايف عليكِ!

فجأة وبدون مقدمات، وجدتُ جسمها النحيف طائرًا في الهواء والشوم الحديدي في يديها يفتك بكتفي، ثم ركلتني في صدري بسرعة البرق لتطرحني أرضًا كفريسة منتهية، وتزحلقت على البرسيم لترتطم رأسي بالقضبان الحديدية بقسوة، بدأت أقف مرة أخرى لأواجهها، هذه المرة حاولتُ التركيز في أن أخطف الشوم الحديدي من يديها، وأوسعها ضربًا، وبحركة متهورة حاولتُ أن اقترب بسرعة لأخطف واحدة، ولكن بشرى كانت أسرع من أي شيء رأيته، بالشومة الأولى ضربت ظهري بعنف، لأتلقى في ركبتي اليمنى الضربة من الثانية في نفس التوقيت، واستمر هذا الكابوس حتى فقدتُ الوعي تقريبًا، الوعي، يا سلام! قد إيه الوعي ده نعمة من عند ربنا، "الدماغ الصاحية مفيش أحسن منها، ده من أقوى العناصر إللي

هتساعد على هزيمة عبدة الشيطان"، هذا ما قاله كمال في جلسة أخرى.

أما لطفي فقد أوفى بوعده، وأخذ Virus معه في الاختراع الحديث ألا وهو الـ ١٢٨، كان جالسًا على الأريكة بالخلف، وأنا كنتُ على المقعد المجاور للسائق، وكان السائق لطفي، كنا فوق كوبري أكتوبر في طلعة باب الحديد، كان العسكري قد أوقف السيارات بالإشارة حتى ينخفض الزحام على الطريق الأساسي، وكنا بطبيعة الحال ننتظر السماح بالمرور.

لطفي كان بيخلّص أم السيجارة الـ ٢٠ لحد التابه، وVirus كان عايش مع الموسيقى الـ Hard Rock إللي كان لطفي مشاغلها ومعليها على الآخر، وداني اطرشت ساعتها.

لطفي : في هنا CD exchanger 50 وسماعات ٤٠٠٠ watt، وإيه؟

Virus : وعيش يا مان، لبعد بكرة بالليل

آدم : هو ده الاختراع، ماشي، كدرني كمان

لطفي : إللي تستهتر بيه يغلبك، Virus، إيه رأيك نشد مع الـ BMW 740 إللي جنبنا؟!

آدم : إنت مجنون؟ الـ ١٢٨ تشد مع ٧٤٠؟

Virus : فكك من أم الليلة بتاعة الواد ده، شِد، بس أوعى تقطعه!

أنزل لطفي الزجـــاج وخفَّـــض صـــوت الـــــ CD Player، وكلم الشابين "السيس" إللي كانوا في الـــــ BM المجاورة، شكلهم كانوا "معمَّرين الطاسة" أصلاً بدليل الـــ Joint إللي كانوا بيشربوه على العلن كده!

لطفي : إيه يا كابوه؟! تشد؟

الشاب : إنت بتكلمنا يا Bob؟

لطفي : أمَّال احتمال بكلم أمي يعني؟!

السائق : تشد مع مين يا Dude؟ مع ١٢٨؟ متجيـــب عجلـــة أحسن يا Prince!

لطفي : مش بابي ومامي برده إللي جـــابلكوا العربيـــة دي؟ وروني تقدروا تعملوا بيها إيه؟

الشاب : كابووو، فينا من التلبيخ ولا إيه؟!

لطفي : من الآخر كده، العربية إيه؟

الشاب : إيه؟!

لطفي : سواق واللي يسبق يكسب يا شقيق، مـــش أم الـــــ BM ولا ٢٨، فل؟!

الشاب : فل كحة، أول ما ننزل من الكوبري

لطفي : إشتات!

Virus ولا يا آدم، BM تانية أهه جنبنـــا وحمـــرة، وفيهـــا حرييييم!

آدم : مش طالبة مُزز دلوقتي

Virus : **طالبة ونص، ولا يا لطفي، نشد مع الفرتيكة بتاعت الـ BM الحمرة؟**

لطفي : **زيادة الخير خيرين**

Virus : **بص هاستفزهم إزاى، شكلهم حريم ضرِّيبة للصبح وسكرانين ملبن، مش بعيد يكونوا شواذ كمان.**

(أنزل Virus زجاج النافذة وبدأ الحديث مع البنت التي كانت أمام عجلة القيادة)

لما الجميل معاه BM، أمال بابا معاه إيه؟

ردت ذات الجمال الخبيث بسرعة الخبيرة..

البنت : **معاه الماما بتاعتك!**

أدخل Virus رأسه إلى السيارة بإحباط وقال

Virus : **هما دول بنات بلدك.**

لطفي : **اتفرج وشوف هاستعمل الـ Controls إزاي، عشان إنت إللي هاتسوقها بعد كده يا آدم.**

Virus : **المهم تفرتك أم الوتكة إللي على الشمال دي، أنا سكتِّلها عشان هي وتكة، وشكل عيلتهم كلها وتكات أصلاً، وأقلب القدرة على فمها، تطلع البت وتكة لأمها، هوريكي أمي فين يا بنت الوتكة.**

اشمأزت الفتاتان بشدة وصاحت بنت إلى الأخرى كي يسمع Virus.

البنت : **العيال دول شكلهم طالعين فيها!**

البنت ٢ : على إيه؟ على حتة الروبابيكيا إللي معاهم؟

البنت : هشد معاهم برده، مبقاش أنا لو ما رجعتهمش الزريبة إللي هما منها، وهوريه بابا يبقى مين.

Virus : إيه ده؟ هو أبوك وتكة راخر؟!

أعطى العسكري الإشارة للتحرك، وانطلقت السيارات الثلاث كالبرق، طبعًا مع الزحام على الكوبري، كل سيارة قامت بالغرز بافتراء، الغريب أن الـ ٢٨ التي قادها لطفي كانت تتحرك بكل مرونة وسرعة جبَّارة لا تليق مطلقًا مع شكلها البدائي، الـ BM عجزت عن ملاحقتنا، وحين نزلنا من فوق الكوبري، اختار لطفي شارع هادئ، وانطلق فيه على سرعة ١٢٠ كيلو/ ساعة، طبعًا الـ BM الأولى تبعتنا بسرعة، وخلفها الـ BM الحمرة التي تقودها الفتيات، فجأة، بجبروت سيارات الـ BM التيربو سبقونا في ١٥ ثانية، كان يبدو على لطفي أنه أراد اختبارهم، وبحنكة الخبير قال وهو يركز في الطريق.

لطفي : شفت الشباب السيس، بيجروا من غير ما يعرفوا في إيه قدام!

في لحظة اكتشف الشباب الذين كانوا في الـ BM أن هناك انحراف إجباري في آخر الشارع الصغير، كان يوجد فكهاني على ناصيته وقهوة بلدي أمامه، ولم يكن عرض الشارع يسمح سوى بعبور سيارة واحدة، قامت البنات بضرب الـ BM الزرقاء مرة واحدة

وفقد الأولاد اتزانهم للحظة، في هذه اللحظة كانت الـ BM الزرقاء قد اصطدمت بالفكهاني! أما الحمراء فمرت بين الفكهاني والقهوة بسرعة غاضبة، رمقني لطفي بنظرة فجأة وهو يعبر إلى جانب سيارة الشباب..

لطفي : أول درس، أوعى تتحدى، قبل ما تعرف التحدي فين

خرجنا إلى شارع أكبر وفارغ، وبسرعة ١٩٠ كيلو لحقنا بالـ BM وسبقناها، حتى سمعنا دوي سيارتي الشرطة خلفنا، الـ BM انهارت لأن الشرطة قد سبقتهم، ضغط لطفي على زر في التابلوه وأبطأ السرعة، أعطى الزر أمرًا للكمبيوتر بالسيارة لخروج سطح معدني من الحقيبة الخلفية يلمس الأرض بطرف والطرف الآخر يظل إلى الأعلى كأنه مطلع بسيط، وظل لطفي أمام السيارة الـ BM الحمراء بالضبط، وشد الفرامل في لحظة، انطلقت الـ BM بسرعة ١٣٠، انطلقت فوق مطلع الـ ١٢٨ وطارت في الهواء لتهبط على الأرض وتقتحم سور عمارة بالشارع، أما لطفي فضغط مجددًا على الزر، وعاد بمارشيدير إلى الخلف بسرعة عنيفة بين سيارات الشرطة التي كانت تلاحقنا، عكس اتجاهه وهرب بسرعة البرق، أصبتُ بصاعقة فظيعة بسبب قمة الاستهتار والخروج عن القانون، كنتُ قلقًا بخصوص التقاط رقم لوحة السيارة ولكني تذكرتُ فورًا أن السيارة تحمل أرقامًا وهمية لا وجود لها بالمرور، الغريب أن لطفي لم يكن خائفًا تمامًا Virus إللي مهايبر ورانا، كان يعرف جيدًا

الشوارع غير المزدحمة حتى يهرب من البوليس، بعد فترة اطمـــأن ثلاثتنا حتى التفت لطفي إليَّ بابتسامة عابرة..

لطفي : أعرفك بعروستي الـــ ١٢٨ المُعدَّلة محرك ٦ لتـــر، ثلاث مبردات، جسم من تيتانيوم ضـــد الرصـــاص، و٥٥٠ حصان في عين العدو!

❖ ❖ ❖

شهر كامل من التدريب المكثف جدًا، أصبحتُ قادرًا على الدفاع عـــن نفسي بشكل فريد، لا أقل عن جندي الصاعقة في سرعته وكفاءتـــه، أنا عارف إن ده شيء غريب بالنسبة للناس إللي زي كمـــال؛ إللـــي مليون واحد مستنيين إشارة منه عشان تنفيذ التعليمات، الموضـــوع سهل بالذات مع برنامج منظم وتدريب ليل ونهار بدون راحة، آخـــر جولة كانت مع بشرى إللي علمتني إزاي اســـتعمل الشـــوم الحديـــد بسرعة البرق زيها، بالإضافة للقتال بالخناجر والسكاكين، ودراية مش بطَّالة بالـــ Full Contact.

لم أكن أدرى ساعتها لما أهتمتْ بُشـــرى بتـــدريبي علـــى اســـتعمال الخناجر بالذات، وخناجر غريبة، طويلة وذهبيـــة وتُصـــدر صـــوت سحري عندما تلوِّح بها في الهواء، عرفت كيف أن أقطف رقبة فـــي غمضة عين، أو أحدث جرح خطير بلا قتل، أو مجرد حركة لتســـييل الدماء من كل أنحاء الجسد في ثانية واحدة، كل ذلك فقط بخنجـــرين، ولكني لم أكن أعلم أن بعد ذلك سوف يكون مسمومًا، وأخيرًا ولـــيس

آخرًا كانت جولتي مع لطفي وVirus وفريقهم عشان أتعلم استعمال التكنولوجيا إللي ممكن تساعد البطل الأسطوري إللي المفروض هيكون أنا.

وفي حقل التجارب المظلم، Virus كان أمام شاشة LCD يشرح لي تفاصيل خريطة شبكة كهرباء القاهرة الكبرى.

Virus : بما إن مصلحة الكهربة مفيهاش ناس عباقرة زيي؛ فهما مش عارفين إن دلوقتي أنا عاملهم Hack وممكن أستولى على التحكم من عندي في شبكة الكهربة.

آدم : معقول؟

Virus : يا بني إنت قاعد مع أحسن Hacker في العالم العربي إحنا كنا بنرضع فيروسات وإحنا عيال، عيب!

آدم : وأنا إيه دخلي بالموضوع ده؟

Virus : بجهاز التعقب إللي لطفي هيديهولك هنكون قادرين على إننا نحدد مكانك على الخريطة إللي في الشاشة الثانية، هنحدد موقعك على شبكة الكهربة وهنقطع التيار على المنطقة إللي إنت فيها عشان أعدائك يفقدوا توازنهم، وإنت طبعا مُدرب على الظلمة!

في ختام الجولة كان لطفي يُعرفني بزي أقل ما يوصف به، إنه فاجر، في لونه، في خامته، في صلابته، وفي سحره، وكان هذا القناع الذي

وُضعَ إلى جانبه أكثر إبهارًا، أخذتُ أسأل نفسي مرارًا مما صُنع؟ أهو خليط من الجلد والفولاذ معًا؟ وكيف عرفوا تفاصيل وجهي كي يتناسب شكله معي؟ آآه، تذكرت، عندما وضعوا وجهي في صلصال ساخن نسبيًا حتى يتمكنوا من التشكيل!

"ضد الرصاص، الماسك والزي، ضد الرصاص".

علَّق لطفي بعد أن وجدني هائمًا بالمنظر الذي كان وراء الفاترينة الزجاجية، وأكمل شرحه للكماليات، أخرج حقيبة أنيقة بها مسدسان بالغان في الطول، وبدا لونهما مائلاً إلى البرونز، واجه ظهر كل مسدس الآخر كأن أحدهما ينظر إلى مرآة، وكان شكلهما غريب للغاية.

لطفي : ساعات، هتواجه ناس عادية زى الشرطة أو حراس أو مدنيين، غير الـ Demons، المسدسات هي سلاحك إذا تعرضولك.

هممت بالرد على ذلك التعليق الغريب ولكنه فهم وقاطعني.

لطفي : ما تستغربش، دي بتطلق رصاصات مخدرة، ما تقتلش بالمسدس، اقتل بالخناجر!

(وأخرج حقيبة أخرى بها خنجرين غاية في الطول والروعة، رُسِمَ عليهما جسم ثعبان)

الخنجر لوحده ما يقتلش، بس الخناجر دي جوه قاعها خزان صغير يحتوي على سم كوبرا الملك، أسرع مفعول في السموم، جوه السلاح نفسه، ماسورة صغيرة جدًا بنسميها Capillary tube مجرد إنك تجرح الجلد،

السم يدخل جسم الفريسة، والموت مؤكد، لو مش عايز السم يطلع في الـ Capillary أقفل الصباب ده.

وأخيرًا أتاني بذراع صناعي يُلبس على أي زي كان، صغير وبه بعض الأسلاك والمواسير الرفيعة "هو ده الدراع الصناعي، لمَّا تلبسه هتلاقي إن فيه حاجات كتير، الزرار ده بيرش ميه نار مركزة، الزرار إللي بعده بيطلع نار على مدى أكتر من مترين، الشعلة ممكن تستمر لمدة ساعتين على الأقل، في بقى حاجات تانية هسيبك تكتشفها بنفسك"

سؤال آخر، حتى إن كان كمال رجل مباحث أو مخابرات أو أمن دولة؛ مهم جدًا معرفة كيف تمكَّن من الإنفاق السخي على كل هذا دون رجل فاحش الثراء، أو مبلغ ضخم من فئة الستة أصغار على الأقل؟!

في غرفة كمال من وكر التدريب, كان ينص علي وصاياه الأخيرة..

كمال : افتكر الغلط مش عيب، الغلط الكبير ممكن نفوته، إنما الغلط إللي لا يمكن يتصلح لازم نقتله، المخدر Venom فخ ممكن يقع فيه أي حد، ممكن حتى بدون ما يقصد، أول جرعة هي المشكلة، بعد أسبوع بالضبط لا يمكن إنسان يقاوم التخلي عنه، تأثيره مشكلة أكبر، بعكس معظم المخدرات، سيطرته بتبقى على العقل بس، لو حد خده ممكن يعمل أي شيء يخطر على باله، أي شيء نِفْسه فيه، فقدان تام للضمير أو التفكير الصح، لو نفسك تسرق، هتسرق، لو نفسك تقتل هتقتل، أي شيء

ممكن.

آدم : ١٥٠٠ متعاطي، هقتلهم!

كمال : أنا مقلتش تقتلهم كلهم، حتى ده ما يبقاش عدل، إنت هتقتل أهم عناصر مفيش أمل من رجوعهم لناس عاديين، وهتحارب Joe، صاحب أكبر وأقوى شلة، هتكون رمز، للتحدي، للخوف والرعب من إن هما يعبدوا الشيطان، هتكون الشوكة إللي هنزرعها في زورهم.

آدم : إنت كان ممكن تدرب ناس كتير يخلَّصوا المهمة دي في وقت قصير.

كمال : أنا مش عايز حرب ولا حَمَّام دم، بعدين لو اعتمدت على أبطال كتير، أكيد واحد فيهم هيفشل وساعتها الكل ينكشف، بس لمَّا الناس تشوف واحد مجنون بقناع بيقتل ويحارب عشان هدف لا يمكن يحسوا إن في ناس كتير وراه.

آدم : طيب والناس إللي بيتعاطوا ولا يمكن يبطلوا، هنعمل معاهم إيه؟

كمال : مهمتك الأساسية إنك تجيب أكبر كمية من الـ Venom ممكنة

آدم : ليه؟

كمال : من ساعة ما طلع المخدر ده، ومجموعتنا بتحاول تطَّلع العلاج اللازم عشان الناس دول يبطلوه، بدل ما يبطلوه

بصعوبة وألم، لازم تساعدنا في إنك تجيب كميات كبيرة عشان التجارب الحيوية إللي بنعملها، علـــى الفئـــران والبني آدمين، والمصل الجديد هيقضي علـــى ســـيطرة المخدر على عبدة الشيطان، بعد كده مش هيكـــون فـــي حجة للناس دول إنهم يستمروا في تخريب الجيل كله.

كمال : إنت يا آدم مش هتكون النموذج المجنون للبطل الأوحد إللي بيظهر في الأفلام الأمريكية، ولا الخدعة الكدابـــة إللي ممكن الناس يستهتروا بيها، إنت هتكون تفســـير للسبب الأساسي لوجود ابن آدم على الأرض، الحـــرب. الحرب إللي الخير بيعارك فيها الشر، إبليس، الشيطان، بس إنت هتكون، الثعبان! مش عايزك تستغرب، مـــش كل الثعابين زي بعض يا صاحبي, أيام فرعون، ثعابين السحرة بتوعه كانوا كتير، لما سيدنا موسى واجههـــم، واجههم بنفس الرمز، بثعبان! ساعات المُخيف بيحتاج مُخيف زيه عشان يكون على مستوى التحدي!

من كمال هذا؟ بعد كل هذه الفترة معه وأنا لم أفهمه! انفعالاته مكتومة، إذا خرجتْ الابتسامة، وجدتْ سببًا للرحيل، وإذا التقى حاجباه غضـــبًا وحيرة وجد السيجار طريقه إلى فمه ليعالجه، في هذه اللحظة بالذات تكلم كمال كثيرًا وأحسستُ أنه يُخفي شيئًا أثَّر فيه.

آدم : إنت لا يمكن تكون عملت كل ده بدون دافع، أكيد أكيـــد إللي عندك ده انتقام، نبرة صوتك بتقول كده.

كمال : أنا فعلاً عندي دافع شبهك، بس مش أم اغتصبوها، ولا ثروة اتسرقت، أنا بنتي بعد ما أمها أخدتها مني في يوم وليلة لقيتها حامل وتحت تأثير المخدر تحت رجليه، وبتتوسل لي عشان أصلح إللي انكسر..
(عاد بذاكرته إلى المشهد وهو يحكيه)

❖ ❖ ❖

نبيلة : أرجوك يا Daddy حاول تجيب نمرته إنت ليك علاقات أكتر من أي حد ممكن تجيبه بسرعة!

اختلطت مشاعر الحيرة والعار والحزن وخيبة الأمل في آن واحد، فعجز لسانه عن الكلام، وأفرطت نبيلة ابنته في البكاء الحارق، والدموع تتسلل إلى أسفل وجهها.

كمال : بطلي عياط!

نبيلة : Dad، أنا هموت لازم آخد جرعة بسرعة ودوايا معاه هو بس يا Dad، حاسبني بعدين، بس المهم متسبنيش اتعذب قدامك، كده هموت!

كمال : حذرتك كتير وقلتلك إنه بيخدعك مسمعتيش كلامي.

نبيلة : غصب عني، غصب عني!

كمال : مش هلحقك يا نبيلة.. ماتكدبيش عليا وعلى نفسك.

نبيلة : هموت؛ حاول تلحقني ممكن تلحقني أرجوك!

كان يعرف جيدًا أن الوقت قد تأخر، كان يعرف شيء

خبأه عني حتى وقت متأخر أيضًا، كان يعلم أنـــه هُـــزم من شاب حقير انتهك عرضه، ولهذه الأســـباب كانـــت ردوده كالآتي:

كمال : إنت بتدفعي ثمن تهورك وتهورك

نبيلة : غصب عني غصب عني!

كمال : وأنا كمان، غصب عني

أخرج كمال المسدس من البلطو الجلد الأسود وصـــوب على رأسها من تحته، وبكت نبيلة بحرقـــة واستســـلام غريب، وضغط كمال الزناد، انتشر صـــوت الرصاصـــة بصداها كصرخة ألم تبحث عن نهاية، كمـــا انتشـــرت رائحة الدماء الممزوجة بالبارود على ســـجاد الغرفـــة الهادئة.

كمال : كان Joe إللي دخَّلها دايرة الشيطان، الكـــلام ده مـــن حوالي تسع سنين، من عمر ســـاندرا تقريبًـــا، شـــريط السينما إللي في راسك هو نفسه إللي بيلعب قدامي كـــل مرة بفتكر الناس دول.

آدم : كان ممكن تقتله

كمال : فعلاً بس الانتقام عمره ما كان مجـــرد إزهـــاق روح، الانتقام لازم يكون من الفكرة، من المعنـــى! إللـــي زي Joe كتير، والكتير دول هما إللي قتلوا بنتي!

وبدأ كمال يتذكر ما كانت تحكيه نبيلة عن أول ليلة لها مع Joe.

الفصل الرابع

الخروج للشياطين

بدأ برنامج المساء في التلفاز الذي يتابعه جميع الناس، وكان العدد هذه المرة فوق العادة؛ لأن التقرير الذي قُدِّمَ في البداية كان عن عبدة الشيطان، بعد انتهاء التترات بدأ تقرير "الفيديو" بالتلفاز وكان من ضمن الجمهور المتابع للبرنامج المشوِّق سيد الغلبان؛ الذي ارتدى الفانلة الداخلية والبنطال العتيق داخل شقته العتيقة أمام التلفاز العتيق أيضًا.

"الـ Satanists يعني عبدة الشيطان، السؤال هو: لماذا عادوا والآن بالذات وبهذه السرعة؟ وبلون وأسلوب لم نتعود عليه، إنهم لا يهتمون بأي عقيدة سوى الخطأ، واتباع ما تهواه النفس من رذيلة كما هو واضح، إنهم شبيهون لأمثالهم في الغرب، وربما هم تحولوا إلى غربيّون، فلغتهم معظمها إنجليزية وذلك نظرًا لمستواهم التعليمي وثقافتهم الأجنبية، التي تُعتبر هاربة من كل عاداتنا وتقاليد المجتمع المصري".

هذا كان صوت مُقدمة التقرير، أثناء مشاهدة سيد للتقرير لمح لقطة لآدم بالـIcecap وسط حشد جماهير حفلة الـ Rock التي صورتها سهير في الليلة لقائه بها.

سيد : مش معقول إيه إللي ودا الجزمة ده هناك؟ مصـــيبة ليكـــون منهم!

"بالإضافة إلى تعاطيهم نوع جديد من المخـــدرات يُســـمى Venom، ففئات منهم يتعاطون الكوكايين وجميع أنواع البودرة، أما الموسيقى الخاصة بهم فهي شيء أساسي، السؤال الثاني لماذا يـــزداد عـــددهم بهذه الطريقة؟ أما السؤال الثالث والأهم أين موقف السلطات من كل هذا؟، انتقلت الكاميرا إلى المذيعة منى بالأستوديو بعد التقرير.

منى : (المذيعة) نعم أين موقف الشرطة والأمن من كل هذا؟ هذا هو السؤال الذي نطرحه على ضيف الحلقة اللواء سعد عبد التواب والأديب علي إسماعيل والدكتور سليمان حمروش طبيب الأمراض النفسية بجامعة القاهرة أهلاً وسهلا بكم.

اللواء : مدام منى اسمحيلي أعلَّق على حاجة مهمة إحنا كلنـــا ماخدناش بالنا منها.

منى : اتفضل

اللواء : إحنا في سنة ٢٠٢٠، فيه فرق بين دلوقتي وبين ١٥ و٢٠ سنة فاتت، يعني مثلاً أيام الإرهاب موقفنا كـــان واضح في التعامل مع قضيتهم، بس ده ما كانش معناه إن الإرهابيين استمروا فـــي وجـــودهم لمـــدة طويلـــة لأسباب عدة، الإرهابيين كان ليهم مخابئ وكانوا تقريبًا في كل مكان نظرًا لانتشارهم في المجتمع، الأمن برده

اهتم بوجودهم عشان يتبع العناصر الأساسية إللي بتساعدهم وبتحركهم، وطبعًا ده خد وقت، هنا إحنا في حالة مشابهة بس الموضوع بقى مختلف لصالحهم إلى حد ما، بعد ما قانون الحريات الشخصية ما طلع، بعدين عبدة الشياطين دول شباب وكتير، لو فكرنا في حبسهم كلهم مرة واحدة واتخدنا إجراءات عنيفة بدل الحلول السلمية والعلاجية لهم، هتلاقي السجون كلها مش حتكفيهم.

علي : بس ده معناه إن الأمن مُقصر يا سيادة اللواء، التساهلات كترت عشان أسباب أنا مش عايز أقولها على الهوا

اللواء : تساهلات زي إيه؟

علي : يا سيادة اللواء معظم الناس دول ولاد ذوات، ومعندهمش أكتر من الفلوس، وأهاليهم إما مسافرين يا ميتين يا مش قادرين يحكموهم، إللي أمه مطلقة واللي أبوه متجوز ٨ على أمه وخد أمثلة للصبح.

منى : هو الظاهر إن الموضوع معقد جدًا وزواياه كتيرة.

اللواء : أنا مختلفتش إن وسايط الشباب دول كتيرة نظرًا للطبقة إللي هما منها، بس أنا يا جماعة مقدرش من الباب للطاق أقبض على أي شاب لابس زيهم كده وأحطه في السجن، خصوصًا والشباب كلهم بقوا بيلبسوا ويتصرفوا كده.

منى : خلينا نشوف الموضوع من زاوية العلاج النفسي، دكتور سليمان إنت إيه رأيك؟

سليمان : العلاج النفسي سهل ولكن ده في حالة إذا كان في استعداد بس.

منى : إزاي؟

سليمان : إزاي؟ يعني من دراستي ليهم اكتشفت إن الناس دي تحت ضغوط مخدر يؤدي إلى الإدمان والاستمرار في عدم الإقلاع عنه، بالإضافة لحالة الفراغ والغنى الفاحش إللي هما فيه، دي نقطة استغلها المروجين في الإيقاع بالشباب الثري ده، واحد عنده أملاك وفلوس ومبيشتغلش، أو في غنى عن الشغل يعمل إيه لو واحد جاله وقاله الشيء ده هيخليك تعمل دماغ صح؟، هيجرب ويتعود على كده ويبقى واحد منهم، عشان كده أنا بقول الموضوع مترتب ليه من الأول، في راس كبيرة بتسعى وراء البيزنس من الشباب دول، والربح مهول ويا خوفي لو الراس دي راس خارجية، وفي الأغلب ده أسلوب احتلال آخر، ويا خوفي لو كانوا الصهاينة إللي بيروجوا.

بعد انتهاء البرنامج، وراء الكواليس، كانت سهير تستقبل التهاني، "مبروك يا سهير، تقرير جامد موت!" قالت إحدى المُعِدِّين للبرنامج وراء البلاتوه.

سهير : Merci ربنا يخليكي!

المعدة : بس إزاي عرفتي تصوري Video؟

سهير : البركة في التكنولوجيا بقى!

❖ ❖ ❖

عزت : مااااكس إنت يا حيوان (صرخ رجل الأعمال الفاسد في مكتبه الفخم المظلم)

Max : دي مش مسؤوليتي
(وبدأ صوته بالانخفاض حتى هدأ)

عزت : أمَّال مسؤولية مين! إزاي حد يخش ويصور الحفلة كلها بالشكل ده من غير ما حد ياخد باله؟

Max : الجواسيس من الصحافة كتير وصعب نعـرفهم عشـان ممكن يبقوا لابسين زيينا.

عزت : الـ Tattoos! مش في حيوان على شباك التذاكر بره بيبص على الـ Tattoos! محدش بيتعـاطى Venom من غير الوشم!

Max : ممكن يكون الصحفي إللي دخل دفع رشوة وإنت عارف الشباب كلهم ما يقدروش يقولوا لأ للـــ Money دول كلهم ضريبة وسيس!

عزت : هم، إنت عارف يا ماكس أنا مش مدايق إن ده حصـل، أنا بس ماكنتش عايزه يحصل دلوقتي.

وانتهت جملته بصوت زاد إلى صوته مزيدًا من الرعب، ليس كل صوت هادىء ينبىء بالاطمئنان! ورفع سماعة الهاتف

❖ ❖ ❖

في الطريق الصحرواي ٧٠ كيلو من القاهرة؛ كانت حفلة أخرى لبني شياطين جهنم، وكان ظلام الليل مؤانس بالضوضاء الوحشية للـ Loudspeaker من السيارات وبنات وصبيان، يحيون الدراجات النارية والسيارات المشاركة في سباق وحوش السرعة، الذي اعتاد الشباب أن يقيموه كل أسبوع في نفس الميعاد، الثانية صباحًا حيث نيران الاحتفال وخيم الأنس والسُكْر والدماغ! الثانية والنصف صباحًا بالضبط سيبدأ السباق بين الدراجات والسيارات، كان في الطريق إلى المخيم ٣ شباب في سيارة بي إم دبليو موديل ٢٠٠٠ فوجئوا بفرقعة جميع الإطارات مرة واحدة وتوقفت السيارة ونزل الثلاثة ليروا ما حدث..

الشاب١ : إيه الليلة الكرب دي؟

الشاب ٢ : إيه بس إللي جاب الدبابيس دي هنا؟

الشاب ١ : هتقول إيه؟! حظ فاجر!

"إيه يا شباب؟ إنتوا وقعتوا في نفس المطب ولا إيه" قال شريف وهو مرتديًا السلسلة الفضة التي برزت على صدره، فوق زيه الجلدي.

كان آدم وبعض عبدة الشيطان - يبلغ عددهم خمسة داخل عربة تحتوى على كراسي مواجهة لبعضها - جالسين بالداخل، منتظرين فريق آخر من زملائهم للانضمام، وكان آدم ينظر إليهم بوجهه المكشوف بخوف وغيظ، البنت ذات الشعر الأسود والملابس القليلة، والحلقات الكثيرة، كانت تُكلم زميلها النحيف بصوت منخفض، ويعيد الكل النظر إليه وكأنه غريب، وفجأة، نطق أحدهم، بالإنجليزية، ووقف ومشى متجهًا إليه..

" لا يُعجبني شكلك يا قذر، من أنت؟!".

نظر إليه آدم من الأسفل وفضل عدم الرد، اكتفى بعيناه الباردتان لترد بالنيابة عن عدم اهتمامه "إذًا أنت أخرس بعض الشيء! لنرى إن كان لديك لسانًا أم لا"، مد الشاب يده ليمسك بفك آدم، واستوقفه شريف الذي دخل وأزاح يده بسرعة.

شريف : إنه معي، سيشارك في المصارعة، (نظر شريف إلى آدم) أفسح لي مكانًا يا صديقي.

لاحظ آدم شكل الثعبان في سلسلة شريف الفضية التي تدلت من قميصه وهو ينحني أمام آدم في العربة الصغيرة.

شريف : إحنا تبعك يا ولد!

جلس شريف والباقي إلى جانب آدم وانطلقت السيارة الكبيرة تجاه الإسفلت.

آدم : مصارعة إيه؟

شريف : مصارعة الدم، جاهز؟!

ونظر إليه شريف دون إجابة على أسئلة عيناه.

❖ ❖ ❖

وصلت العربة الناقلة للمتسابقين في الوكر المعتاد، خارج الخيم كان يجلس الملك Joe، على عرش من الفرو محاط بالبنات اللواتي يشاركوه سيجارة البانجو الكبيرة، وزجاجة Jack Daniels، مؤانسين بالموسيقى العنيفة الـ Metal، تقدم B-Joint بشعلة نارية كان يمسك بها ليضعها إلى جانب السجادة التي كان يجلس عليها باقي الشلة.

B-Joint : العيال وصلوا

Joe : فين هما دلوقتي؟

B-Joint : (أشار إلى الخلف) أهم..

Joe : أوكي أوكي، خلصني، مين في حمام الدم، ومين في السباق؟

B-Joint : (أشار إلى البعض وراءه) الثلاثة دول في السباق والباقي هينضربوا، وش!

❖ ❖ ❖

وكأن المنظر القذر الذي نشاهده في الأفلام الأمريكية منقول إلى الصحراء بالنص، تجمعات هائلة لعبدة الشيطان حول حلبة مصارعة

دموية أحيطت بجدار من الأسلاك المعدنية وبداخلها وحش قبيح، امرأة! امرأة كسرت قوانين الأنوثة بمراحل، بل والرجولة أيضًا، مخلوق ربما بشري، طويل ومفتول العضلات محاط بضحيتان ممن حاولوا هزيمة الوحش، طويل الشعر الأسود، والحلقات المعدنية الكثيرة على وجهه، وأسنانه الصفراء، وجلده القمحي المُغطى نسبيًا بملابس سوداء، وبصوت لم تعتاد الأذن سماعة، صرخت العملاقة صرخة نصر ليغطي صوتها الرجولي الوحش على أصوات الهتاف الكثيرة! أما أنا، آدم، فكنتُ الضحية التي تنتظر من سيدخل إلى الحلبة قبلي، وهو يبول على نفسه، ويحاول التراجع عن قراره، قبل أن يشده أحد المشرفين على المبارزة إلى داخل الحلبة، ويُغلق الباب من خلفه، تبادل الولد المسكين النظرات مع الوحش، الذي فتح فمه ولعق إصبعه بشهوة، وهو يتقدم خطوة بخطوة نحو الفريسة، ركض الولد بجنون نحو الأسوار المعدنية صارخًا بكل ما لديه من قوة بالإنجليزية "أخرجوني من هنا! أخرجوني!"، أعاد هذه العبارة مرارًا وتكرارًا وهو يهرب مرة تلو الأخرى من الوحش داخل القفص، فذكَّرني شريف الذي انتظر ورائي، بأمرٍ ما.

شريف : على فكرة، دي ست، بس بمية راجل

آدم : فعلاً

شريف : بس إنت وقفت قدام مية راجل قبل كده، حسب ما قاللي كمال.

آدم : كمال ضحك عليك، أنا وقفت قدام خمسة، وانهزمت

شريف : وكان الواحد فيهم بعشرين يا صاحبي، على العمـــوم، إنت أكيد عارف إزاي تخليها ولا حاجة، بعدما تهزمها، تاخد الـــ ١٠٠٠ دولار، بعدين تقتل Joe، لما ييجـــي يحييك بنفسه، افتكر، هستناك بالعربيـــة ١٢٨ بـــره، Peace؟

لم أكن متوقعًا أن أقع في هذا الفخ، أحسستُ للحظة أنني في خطـــر فظيع يدفعني للتراجع عن كل هذه الخرافات التي وهمني كمال بهـــا، واقتنعتُ للحظة أن من الجنون وجودي هنا، ماذا يغصبني على البقاء هنا وقبول لقب زائف في قصة زائفة أكون أنا بطلها، وربما بطلهـــا الفاشل؟ ثم تيقظت لأمر، إن كنتُ معرضًا للموت، فالوحدة وقلة الحيلة حياة أكثر قسوة، فلماذا أعود؟ في جميع الحالات، لقد أردتُ الانتقـــام ممن دفنني في واقعي، وإن مِتُ فذلك سيكون أفضل بكثير، أن أكون ذليل الحياة التعيسة.

تمكنتْ المخلوقة الوحشية من الإمساك بالولد، الذي نظر إليها وهـــو يبكى بكاء شديد، ونطق كلمات قليلة وهي تنظر إليه بغضب، "أرجوك! لا أريد أن أموت، أرجوك! ســـوف أهـــديك ٢٠٠٠ دولار!"، وبيـــدها العملاقة ضربت الولد ضربة صاعقة على وجهه ليتطاير الدماء، ويقع الولد فاقدًا وعيه تقريبًا، فينهض ليحاول الهرب مرة أخرى، قبـــل أن تدعس العملاقة على ساقه بقسوة، وتحمله عاليًا وهو يتألم بشـــدة، فيصيح الكل لينتظروا الضربة النهائية، حتى نظرت إلى Joe، الملـــك الذي أومأ برأسه موافقًا على القضاء عليه، فرمت جسده على الأرض

بمنتهى الوحشية، حتى كاد الولد أن يقترب من الموت، ودخلت فرقة من الناس ليسحبوا الجثمان خارج الحلبة، وتم النداء علـــى التـــالي، نادي B-Joint عبر الميكروفون، بالإنجليزية "التالي".

حدث شيء غريب، منذ أن بدأتْ الدورة وضجيج الجمهور لم يتوقف لحظة، حتى دخل آدم إلى الحلبة، وأغلق الحارس الباب مـــن وراءه، ونظر الكل إلى آدم، الخصم الذي أخفى معالم وجهه بقناع غريب، قناع جلدي أسود، وفيه بعض الحليات المعدنية أوحت بمنظر وجه الثعبان، واستغرب Joe أيضًا لما حدث، فهو أيضًا يرتدي قناع جمجمة.

ولكن سرعان ما عاد الحال إلى ما كان عليه بعد أن صرخ الـــوحش صرخة مخيفة وهو يركض نحوي، وقفتُ مكـــاني منتظـــرًا وصـــول الوحش حتى أمسكتْ يدها عنقي ورفعتْ جسدي إلى أعلى وضـــربت به الحائط السلكي بشدة، لأقع كالكبش على البلاط، وبدأ الألـــم فـــي مُداعبة جسدي، أما عنقي فتألم أكثر في مكان قبضة يدها الخشـــنة، علا الصريخ من عبدة الشيطان، وأسرعت الغولـــة بركـــل وجهـــي، لتسيل بعض الدماء من فمي وأنفي، ويسيل بركان من الغضب فـــي عيني، أخذتُ الخنجر الذي خبأته في جيبي وقفـــزتُ عاليًـــا لأخـــدش وجهها القبيح خدشًا غاية في العمق والإتقان، وركضتُ بعيدًا منتظرًا رد فعل جديد، أما هي، فاستدارت لتنظر إليَّ بتعجب، وحسَّست علـــى وجهها مكان الخدش بيدها، ثم نظرت إلى الدماء التي سالت منه على أصابعها، ثم نظرت إليَّ بحقد، ولعقت الدماء على أصـــابعها بشـــكل مقزز، وكسرت سكوت الجمهور بصريخ آخر وهي تـــركض نحـــوي

بسرعة البرق، قبل وصولها بمتران تقريبًا، فـــردتُ جســـدي علـــى الأرض بسرعة الثعبان، لأعبر تحت ساقيها العملاقتين، وفجـــأة فـــي سرعتها، فردتُ ساقي عاليًا لأعرقلها، أوقعتها وقعة مباغته بجسدها الضخم على الإسفلت وارتطم وجهها بالأرض بقسوة، ابتعـــدتُ مـــرة ثانية منتظرًا رد فعل آخر، وأحسستُ أن بعض الجمهور تعاطف معي وبدأ يهتف لي، مما زاد ثقتي في حُسن تدريبي، وأزال عامل الرعب وخوف من قلبي قليلاً.

وقف الوحش وقوف مفاجئ، وهذه المرة كان من المستحيل الهـــرب منه، فقد تمكَّنتْ من محاصرتي في الزاوية دون أن أدرك، ورفعـــتْ جسدي بيديها وهي ممسكة بعنقي مرة ثانية، وأخذت تضرب بإحدى يديها على بطني حتى قاربتُ أن أتقيأ، وجاءت لحظة اتخاذ القـــرار، بعد أن وقع الخنجر من يدي، أخرجت مكعب أسود معدني بـــأطراف لامعة أعطاني إياه شريف، وبمنتهى السرعة ألصقت الطرف اللامـــع في رقبة المتوحشة، وتمكنتُ بدوري من الإفلات من يدها، قبـــل أن تُصاب الوحشة بنوبة جنون كهربائي، اختراع جديد قام بـــه لطفـــي، شحنه كهربائية هائلة من جهاز أصغر من الأصابع، تتسرب إلى جسد عملاق، يهتز بصورة سريعة لم يشهدها الإنسان من قبـــل، أخـــذتُ الخنجر من الأرض، وأسرعتُ إليها، وقفزتُ عاليًا لأذبحها من رقبتها بوحشية، وحشية خرجت مع الدماء التي تدلت إلى سترتها السوداء، وأوقعتها كالخروف على البلاط بصوت ملحوظ.

وقف Joe، وجميع الناس بالحلبة غير مُصدِّقين الصـــدمة، ونظـــرت إلى Joe من وراء الأسلاك المعدنية المانعة، وراء الضجيج بعـــد أن وقف الصمت.

B-Joint : هذا قاتل! يجب أن نقتله لقد أفسد متعة الحفلـــة، وتسبب في وجود جثة!

Joe : انتظر، لقد أعجب الناس، كيف نقتل ثعبانًا أحبـــه الناس؟ هذا القاتل يجب أن يُكَّرم يا خنيث، أريـــد رؤيته في الخيمة.

B-Joint : والجثة!

Joe : احرقوها، لدينا بطل جديد نُقيم به الحفلات

❖ ❖ ❖

قامت إحدى الفتيات المقززات بإشعال سيجارة Joe داخل الخيمة مع بعض الحاشية المعتادة، دار حوار مع شريف الواقـــف أمـــام الجمـــع وJoe بالإنجليزية طبعًا.

Joe : حسنًا، ولماذا لا يريد صاحبك مقابلتي؟

شريف : إنه ليس صاحبي، إنه الثعبان

ضحك الجميع في الخيمة المظلمة، وتجاهلهم Joe

Joe : وماذا يظن نفسه هذا الثعبان ليرفض مقابلتي؟

شريف : إنه لم يرفض، أنت الذي ترفض مقابلته

Joe : **ماذا تعني؟**

شريف : **أنت الذي تريده، إذًا أنت تذهب إليه، وليس العكس!**

انتفض Joe بعصبية رهيبة ووقف ليصيح في وجه شريف بكا غضب حتى احمرت عيناه.

Joe : **أيها الخنيث! أنا الملك هنا، أنت لا تعي ما تقول ولا تعي ما باستطاعتي فعله بك، وبثعبانك، أنا الملك هنا!**

أشعل صوت Joe الأجش كثيرًا من الرعب بالجو المحيط حتى انتبه كثير من الحضور بالصحراء، صمت شريف قليلاً حتى رن هاتفه المحمول وقال..

شريف : **وهو الكوبرا الذي يقتل الملوك!**

وفجأة، انطلق صريخ حاد لامرأة بالخارج شد انتباه الجميع، فخرج Joe وباقي الناس في الخيمة ليتفقدوا ما حدث في الركن المظلم وراء الخيمة، فوجدوا أربع جثث خامدة على الرمال، ودماء تسيل من أعناقهم وكأنهم ذبحوا في جزارة، وقف الجميع في ذهول وصمت.

Joe : **ما هذا؟!**

B-Joint : **قلت لك إنه قاتل!**

Joe : **أين الرجل الذي..**

والتفت وراءه ليبحث عن شريف، ولكن الوقت كان كافيًا له، ليركض إلى سيارة الثعبان وينطلقا بسرعة عبر الرمال إلى الإسفلت، جن جنون Joe عندما سمع صوت المحرك، وصاح بأعلى صوت

Joe : الحقوا بهم!

انطلق فريق من ثلاثون شخصًا على درجَّاتهم النارية وسياراتهم وراء السيارة ١٢٨، صودف أن انطلقت سيارات السباق على الإسفلت مع ظهور سيارة الثعبان على الطريق، وتخيل البعض أنها مشاركة في السباق، هدأ الثعبان السرعة حتى سبقته جميع السيارات التي أشعلت الإسفلت بوحشيتها، نظر الثعبان من خلال قناعه المرعب لشريف.

الثعبان : كام عربية خرمتلها التانك؟!

شريف : بلاش أقول كلهم

سارع الثعبان مرة أخرى ليلحق بالسيارات هاربًا من دراجات Joe، وقبل أن يسبق أول سيارة، رمى ولاعته المشتعلة على الإسفلت المبلل بالبنزين وسبقهم جميعًا، قبل أن يظهر انفجار فاحش لكل سيارة تلو الأخرى، وقفت الدراجات النارية أمام النار الرهيبة التي هبَّت من الانفجار، عاجزة عن العبور، وبعد انفجار بسيط لتانك آخر، ابتعد الجميع ليتفادوا الأذى

٦٩ : (نزل الضخم من دراجته النارية)، هذا الرجل ذكي!

مالت Pain إلى النار أمامها وكان مشهد النار يُثيـــر إعجابها، بما أنها تعشق التعذيب

Pain : هذا الرجل لي!

❖ ❖ ❖

"ظهور ثلاثين جثة على الطريق"

"عبدة الشياطين، يُقتَلون، ولكن من القاتل؟!"

تلك كانت العناوين في جريدة الأهرام التي رافقتها الصور الدموية في النهار، سيد الغلبان، كالعادة كان من أول القرَّاء، والذي كان يمســك بهذه الصحيفة في بيته العتيق.

سيد : الموضوع ده فيه ريحة! في ريحة

❖ ❖ ❖

"ريحة حريم، أنا شامم ريحة حريم" قال Virus وهو يفيق من نومه، بعد أن أضاء نور غرفته وسمع جرس الباب، كان في غرفة بســيطة في السطوح، حيث كان مسكنه القديم، قام Virus النحيف بملابســه البيضاء الداخلية ليفتح الباب، وفعلاً فتح البــاب الخشــبي الخفيــف ورأى امرأة آية في الجمال الساحر، وبعدها فورًا أغلق البــاب فــي وجهها وكأنه لم يراها، بل وكأنه فتح وأغلق الباب في نفس الثانية!

Virus : النظارة فين؟! حطيت أم النظارة فين! أهه!

ارتدى النظارة وفتح الباب بعد أن دقت سهير علـــى الباب مرة ثانية.

سهير : أنا...

Virus : صباحو ملبن!

سهير : صباح الخير(بابتسامة) أنا جاية علشان

Virus : المهم تيجي وخلاص!

سهير : Virus ساكن هنا؟

Virus : وحتى لو مش ساكن، أجبلك الـــHardwares إللي في مصر كلها وأفرشلك الأرض Printed circuit!

سهير : هو إنت!

Virus : هو، هو يا عسل!

سهير : تسمحلي اتكلم معاك شوية؟

Virus : اتفضلي اتكلمي

سهير : على الباب؟!

Virus : آه على الباب علشان ما تشوفيش الوساخة إللي جوه

سهير : طب

وفجأة تحوَّل Virus من مزاج الإعجاب إلى الحذر!

Virus : عرفتي أم اسمي منين؟ أنا مافيش غير صحابي إللي يعرفوا اسم Virus!

سهير : أنا أصلي صحفية! و..

Virus : مصلحة يعني، جاية مصلحة!

سهير : أنا عرفت من مصادر خاصة إنك من أحسن الهاكرز في مصر وإنك إنت إللي صممت الـ Website بتاع عبدة الشياطين على الـ Internet وإنك بعد ما عملته أخذت أجرك عن طريق حساب Joe الإلكتروني، ومن رقم حسابه سرقت كل الفلوس إللي في رصيده في البنك، مش عارفه إزاي عرفت تسرق رقم حسابه، بس أنا عايزة أعرف عنك كل إللي تم بينك وبينهم، وإزاي إنت مستخبي منهم ومعاك اسم مستعار عشان خايف يقتلوك، زي ما قتلوا أخوك سامر!

Virus : آه بس مين قالك إني بتاع Hacking؟

سهير : قلتلك مصادر خاصة

Virus : زي Joe مثلاً أو حد من طرفه بصي بقى، Virus خرج وأنا اشتغلتك ومن الآخر كده إحنا مش هربانين ولا حاجة، إحنا ولاد أغنيا فله ومترييشين كحة، وفاتحين المكان ده للخمر والنساء والحشيش، تحبي تخدي كام في الليلة وتنفضي لأم نشرة الأخبار وشغل هالة سرحان بتاعك؟

صمتت سهير للحظة محاولة الخروج من الحديث..

Virus : إيه ده؟ إنتي ببلاش؟! طب فل أوي نظام "خلي عنك خالص!"

ثم رحلت سهير بهدوء وبرود بينمـــا Virus أغلـــق الباب، وبسرعة جنونية أخذ يجمع كل ما في الغرفـــة من أجهزة كمبيوتر صغيرة وديسكات وبعض الملابس هامسًا لنفسه: "خطر؛ القعاد هنا خطر"

❖ ❖ ❖

في جو مظلم وبارد في قاعة أو ربما بيت أحد من فريق Joe، كانت نفس الموسيقى العنيفة تملأ المكان، حيث كان Joe على بـــار بـــين رسمتي صليب مقلوب، وفي النصف نجمة الPentagram، وكلاهما علامات لعبدة الشيطان ودخل Max Melon، المكان فنظر الجميـــع إليه، ولاحظ أن ملامحهم حملت كثيرًا من القلق والخوف، بالرغم من تظاهرهم بقضاء وقت ممتع.

Max : يعني ثلاثين ماتوا..

Joe : محنا عارفين

Fetish : وأرواحهم راحت هدر

Joe : لأ (فقام ويضربها على وجهها لكمة تلو الأخـــرى حتى نزفت، بدت Pain سعيدة جدًا بضرب Joe).

Pain : (باستمتاع) آآه!

B-joint : يعني إنت مش عارف إنها بتنبسط من الضرب؟!

Max : لازم تسمعوا كلام الرئيس كويس، اصبروا حبه لحد ما نعرف الشبح ده بيقتل لحساب مين.

اقترب صاحب الجثة الضخمة نحو Max وعلق

٦٩ : واحد زي ده لا يمكن يكون شغَّال لوحده
بدأ صوت Giganti أكثر جبنًا وأقرب للبكاء
أنا خايف ليكون عارف مكاننا!

Joe : هو الـ Master مش له علاقات بالشرطة؟ خليهم يقبضوا عليه

Max : كانوا قبضوا علينا إحنا الأول، إنت ناسي إن بالرغم إن عددنا كبير لسه الناس بتكرهنا؟ وإشعرفك إن هو كمان ميكنش مع الشرطة؟
أخذ B-Joint نفسًا عميقًا من سيجارة البانجو

B-Joint : إزاي؟!

Max : الـ Master هيتصرف بس علشان يتصرف لازم الشبح إللي اسمه الثعبان أو الكوبرا ده ييجي مرة تانية ونحاول نوقعه.

Giganti : لأ! أنا مش عايز أموت!

Max : مفيش حد هيموت! ممكن ناس تتجرح بس (اقترب من Pain ووضع أصابعه على أنفها التي نزفت، ضحكت الأخيرة بدورها بعد أن فهمت قصده).

❖ ❖ ❖

أدخل آدم حقيبته الكبيرة مرتديًا زي جلدي إلى صالة قصر مظلم من الداخل بعد أن عبر بابه الضخم، بدا على هذا القصر أنه مهجور ويعد من الآثار التي تركت بعد الثورة، ظهرت ساندرا وهي تركض إلى آدم وتضمه بشدة.

"آدم هوده البيت الجديد؟" قالت ساندرا بنبرة تعجب

آدم : احتمال!

"لأ أكيد يا آدم ده أأمن مكان ليك بالنسبة لخطتي" قال كمال بعد أن ظهر من ركن مظلم.

آدم : خطة إيه؟

كمال : موقعنا مُعرَّض للخطر مهما كنت مأمنه، أي عضو معانا أو حتى صديق ليه في الجهاز ممكن يكشفني، لو جرالنا أي حاجة إنت مش هتتئذي، هتكون هنا، في المتحف ده

آدم : كويس إنكم أخذتوا باللكم من ساندرا

كمال : ساندرا كمان لازم تكون هنا معاك، بس خد بالك، مش عايزين أي حد يعرف إنك مقيم هنا، البوابين تحت فاهمين كل حاجة، لوعُزت أي حاجة هما يجيبوهالك.

ثم استدار واتجه إلى الباب بكل برود!

آدم : وهفضل محبوس لحد إمتى؟

كمال : مش محبوس ولا حاجة، إدي كل مرحلة وقتها قالها دون أن ينظر وراءه ورحل!

❖ ❖ ❖

سهير التي كانت تقود سيارتها الـ Cherokee الكبيرة وترتدي نظارات شمسية أنيقة رأت فجأة سيد الغلبان يعبر بجريدة أمام سيارتها التي كانت في محطة البنزين.

سهير : هاي سيد، يا سيد!

سيد : إيه ده سهير؟ أخبارك؟ معلش ملخوم مخدتش بالي.

سهير : مش مشكلة، إنت عامل إيه؟

سيد : بنخبط في الدنيا

سهير : فل أوي وأنا كمان بخبط، قوللي سكتك فين؟!

سيد : مدينة نصر

سهير : طب اركب

سيد : خلاص ملوش لزوم

سهير : اركب بس أنا عايزاك في حاجة

سيد : طيب

بعد أن ركب وانطلقت السيارة وضع سيد الجريدة على المقصورة، وكان عنوان بفونط عريض يثير دهشة سهير"دفعة كاملة من شحنة Venom تُدمر في الميناء على يد شخص واحد، شهود عيان يدَّعون أنه ملثم بزي غريب!"

سهير : تفتكر مين إللي بيعمل العمايل دي؟!

سيد : مش شخص واحد، مين إللي بيعملوا العمايل دي؟!

سهير : إنت مش شايف إن البطل الوهمي إللي النـــاس بتـــتكلم عليه ده، مفيش حتى صوره ليه اتنشرت في أي حتة!

سيد : يا ستي!

سهير : مالك يا سيد؟ شكلك مش هو؟!

سيد : الحالة مش تمام معايا خالص

سهير : ماديًا؟!

سيد : آه!

سهير : ليه؟

سيد : مع المرتب إللي كنت باخده، كان في ثلاثة مأجرين شقق في العمارة بتاعتي، اثنـــين ســـافروا وآدم مـــات مـــن شهرين! ومفيش فلوس من الإيجار

سهير : آدم مين؟

سيد : آدم يا بنتي، إللي حوِّل من عندنا من إعـــلام راح كليـــة شرطة

سهير : آدم كان مأجر منك شقة! ومات من شـــهرين؟! إزاي إن كنت أنا لسه شايفاه من شهر واحد بس! أو أكثر شوية، بس مش شهرين أكيد!

سيد : بتهرجي، أكيد كان واحد شبهه!

سهير : اتكلمت معاه يا سيد، ورد عليه! مات إزاي؟!

سيد : من الأول وأنا شامم ريحة في الموضوع ده

سهير : تحب نقعد فين؟!

❖ ❖ ❖

في مكتب عزت الفخم، دخل Max بلوحة طُبعت عليها دعاية لفرقة Demons التابعة لعبدة الشيطان تنوِّه عن الحفلة القادمة، ومن وراء المكتب.

عزت : وريني إللي عندك

يُظهر Max اللوحة التي احتوت على صورة بشعة ودموية داخل نجمة البينتاجرام، وميعاد وعنوان الحفل.

Max : هيكون في Sacrifice في الـ Concert ده

عزت : مين؟

Max : تقريبًا هيعملوا قرعة، ولو حد مرضيش، هيجيبوا واحد من بره.

صمت عزت قليلاً ثم أكمل بهدوء

عزت : طالما في تضحية، أكيد هيكون موجود! دي فرصته!

ابتسم Max ابتسامة مخيفة أوحت بترتيب شيطاني!

ولكن ما هو الـ Sacrihce؟!

❖ ❖ ❖

سهير : الـ Sacrifice يعني التضحية، واحد من عبدة الشيطان يختار إنه يتقتل ويتصفى دمه في سبيل إرضاء Satan (الشيطان).

هكذا قالت سهير لزميلتها في كواليس برنامج التليفزيون

ألفت : وده هيوصلنا للقاتل المجهول ده إزاي؟

سهير : القاتل المجهول ده شكله منظم جدًا، مـــانعرفش شـــغال لوحده ولاَّ لأ، هدفه يصفي الشارع من عبدة الشـــيطان، طالما الحكومة مش قادرة عليهم!

ألفت : وبعدين؟

سهير : الSacrifice ساعات بيتعمل على ناس عاديين، ممكـــن الناس دي تخطف حد وتضحي بدمه عشان الشيطان

ألفت : زي مين؟

سهير : زيي كده

ألفت : بتهرجي! إيه يا بنتي إنت اتهبلتي؟!

سهير : وطي صوتك يا زبالة! اسمعي، أنا شاكة فـــي شـــخص ممكن يكون هو القاتل إللي بيقولـــوا عليـــه! ســـاعديني أعرف هم مين، بجد، ومتنســـيش إن ده ممكـــن يبقـــى أحسن Reportage في مصـــر، والعـــالم! المعـــاملات والحكاوي دي عن البطل الأوحـــد ومجموعـــة الأشـــرار عمرها ما حصلت إلا في الأفلام، أول مرة تحصـــل فـــي الحقيقة، لو صورت الحدث ده هيبهر الكل!

ألفت : يا غبية إنت كده عايزة تنتحري!

سهير : ليه يعني؟ محدش هينقذني؟!

انتبه الاثنان إلى شيء غريب ظهر بالتلفاز، أشبه بالعطل الفني ثم ظهر ما لم يتوقعها أحد!

❖ ❖ ❖

كان Virus في وكر الأجهزة تحت صخرة المقطم حيث هــو مكــان المؤسسة، مرت أصابعه بسرعة البرق علــى أزرار لوحــة مفــاتيح الكمبيوتر أمامه في الضوء الأحمر الخافت، وكان لطفي إلى جانبــه يأكل المكسرات..

Virus : لطفي باشا، أنا هقلب على أم محطات التلفزيون

لطفي : فل يا إكسلنس

Virus : الثعبان، قاتل الخطيئة، لأول مرة الجمهور هيتعــرف عليه.

قالها بعد أن كتبها على الحاسوب بسرعة البرق، وبعد ساعة تقريبًا، جميع محطات التلفاز كانت تبث إعلان، شبيه بالذي ينوِّه عن رنــات المحمول، "إذا واجهتك أي محاولة للاعتداء أو ما شابه أو كنت تشك في وجود عبدة الشيطان يعرضون الأذى لك أو لأي مــن رفقائــك، اتصل ب*٠٠٠* أو*رقم الشخص* ونحن سنحدد موقعك، مع تحيات الثعبان قاتل الخطيئة سفاح عبدة الشيطان"، ورافق الإعلان صــورة القناع الذي ارتداه آدم، ثم عاد البث الطبيعي لقنوات التلفاز، شــاهد الإعلان الجميع ابتداء من سهير حتى Virus نفسه الــذي اختــرق شبكة البث عن طريق الــ Hacking وعرض الإعلان وأثار الدهشة والجدل في جميع شوارع القاهرة! بينما آدم الذي شاهده أيضًا كــان في غاية الاضطراب والقلق، في القصر القديم.

آدم : مش عارف إذا كان ده حقيقة ولا حلم ولا خيال مجنون!

ثم رن التلفون، ورفع آدم السماعة

آدم : كمال أنا قلقان أوي

❖ ❖ ❖

بعد يومين من نشر هذا الإعلان على الـ Facebook والـ Youtube وكل محطات التلفاز، تمكَّنت سهير الذكية من كشف أمور لم تتضح إلى كثير من المشاهدين، فجهَّزت تقريرًا خاصًا لبرنامجها التليفزيوني واحتوى على صور من عرض الإعلان، يظهر فيه رأس لثعبان كبير والقناع الذي ارتداه آدم! وهذا ما قالته مذيعة التقرير، كان أشبه بالدعاية غير المقصودة!

"رأس الثعبان والقناع الثعباني الظاهرين بالإعلان هما متشابهان، هذه الرأس بالشاشة هي رأس الـ Naja Haje الاسم اللاتيني لكوبرا الملك، الحية الأكثر خطورة على الإطلاق، تحمل السم الأسرع مفعولاً، فهي في العضة الواحدة تُخرج أكثر سمًا من أي حية أخرى، والعلماء يقولون إن العضة تُميت فيلاً كاملاً مما يساوي ٣٠ شخصًا في دفعة واحدة! يصنف السم من فئة الـ Neurotoxin أي السم الذي يسيطر على الجهاز العصبي كليًا.

هي كوبرا مصرية أصيلة بالأساس، فسمت بكوبرا الملك لأنها كانت تحمي الفرعون حسب المعتقدات القديمة، وهذا حقيقي فإنها ليست شريرة بطبعها ولا تهاجم أحد إلا إذا اعتدى عليها أو اقترب من

بيضها، هي تمثل الإلهة وادجيت عند الفراعنة، رمز كوبرا الملك هو رمز سيادة وهيمنة الفرعون في المخطوطات القديمة، وهـذه هـي الكوبرا التي استخدمتها كليوباترا عندما رغبت الانتحار السريع وراء الكواليس، كانت المذيعة غاضبة مما نوت سهير فعله.

منى : إنت متأكدة إن سهير تقدر على المصيبة دي؟

ألفت : لأ!

منى : إزاي تتصرف من دماغها من غير ما تاخد رأيي؟

ألفت : الطمع في الشهرة يعمل كل حاجة.

منى : شهرة إيه؟ دي هتموت! دي هيتصفي دمها، دي ممكـن تغتصب ومش بعيد الموضوع يخرج من إيدها.

ألفت : الموضوع هيبقى في إيد واحد بس، البطـل الـوهمي إن ظهر، سهير هتكون أشهر ممثلة في مصر، وإن مظهرش هتكون أكبر ضحية للشيطان.

منى : الموضوع في إيد ربنا فوق كل شيء!

❖ ❖ ❖

رن الهاتف في صالة آدم الذي كان نائمًا على الأريكة

آدم : أيوه

Virus : بكرة بالليل، حفلة الضحية، هيجيلك شريف دلـوقتي يفهِّمك المطلوب!

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس

الخطر

قصر البارون كان في هذه الليلة كتلة من الأنوار الحمراء المتحركة تتراقص بين الظلام، وبين أعداد الشباب الكثيرة الذين رقصوا بعنف مع الموسيقى، وفي ركن غريب كان جميع الناس لا يقتربون منه، كان يجلس رجل على عرش مرتفع، مرتديًا جلبابًا أسود وحجابًا واسعًا يخفى معظم ملامحه البشعة، جلده لا يدل على أنه من فصيلة البشر، جلدًا كان لونه أزرق يميل إلى البياض، ربما كالأموات المسمومين، كان لطفي الذي ارتدى ملابس كعبدة الشيطان يُرافق آدم الذي كانت معالمه مختفية تمامًا في زي الرهبان الذي كان يرتديه، كان وجهه مُغطى تمامًا كالأشباح وعصاه فضية في يده اليمنى، بعد أن شق الاثنان طريقهما عبر السلالم الكثيرة، استوقفهما عملاقان من الحرس، ونطق الأول، بالإنجليزية..

"التذاكر"

لطفي : ها ها

لما لا يكشف أخاك عن وجهه؟

لطفي : إنه ليس أخي، إنه زائر، وشخص مهم جدًا، سخي

ويدفع الكثير، ألف لك، وألف لأخاك!

أعطاه لطفي ألفي دولار.

"حسنًا، يُستحسن ألا تكن صحفي"

لطفي : إنه يكرههم

بدا المنظر من الداخل وكأنه احتوى على ألف ركن، ركن الشباب الذين يتعاطون الهيروين، وركن البار الذي يلف عليه الأولاد والبنات سجائر البانجو وما شابه، وركن المسرح الذي لعب عليه هواة الموسيقى العنيفة الـ Death Metal ألحانهم المزعجة، وركن الرقص، وركن الكائن الغريب المتخفي، كانت فرقة Joe متفرقة بين الحضور، أما Pinks، شقيقة Pain فهي النسخة المُصغَّرة منها، لا يتجاوز عمرها الخامسة والعشرين، كانت جالسة على البار تتبادل الضحكات مع مجموعة من الشباب الفاسدين، وقد وقف كل من لطفي وآدم قريبًا منها لينظروا إلى الشبح المتخفي.

(اقترب من أذن آدم الذي أخفى وجهه)

لطفي : بيسموه الشيطان، وبيعبدوه أحيانًا

آدم : أحيانًا؟

لطفي : ناس دماغها ضايعة، هما أصلاً عارفين بيعملوا إيه؟، المهم، إذا قتلته، كل الناس إللي هنا هيركعولك، ساعتها تعرف إنهم استسلموا، تسيبهم وتمشي، جايز حد يجري وراك عشان يقتلك، انفد بجلدك، طبعًا إنت عارف إزاي، هسيبك دلوقتي، أنا ماعرفكش، (ثم مشي عدة خطوات

بعيدًا عن البار، وأعاد نفس الكلمة، بتعبيرات يده).

اقتله!

نظـر آدم إلـى الشـبح بـتمعن، وإلـى Pain، وJoe، وB-joint وGiganti لفترة، ثم استدار نحو البار ليهيئ نفسه معنويًا، ولكنه لم يعلم أن في نفس المكان، تواجدت امرأة، كان يـذوب عشـقًا فيهـا بالماضي.

كانت سهير محاطة بكل شباب الSatanists بقصر البارون وحـاول الكثير الاختلاط بها، ولكنها امتنعت بطرقها الخاصة وبمساعدة فريقها الخاص من رفقائها في التلفزيون المتنكرين، حتى فاجأهـا B-joint و٦٩ الضخم واستوقفوها.

B-joint : عايزة تـ Sacritice ولحد دلوقتي مفيش حد خَـدْ منك حتة!

سهير : وتاخد مني حتة ليه؟

٦٩ : علشان نقضيها!

وأمسك بذراعيها ثم ابتعدت سهير فجـأة، وأكملـت سهير بالإنجليزية

سهير : لمعلوماتك يا كرف إنت وهو، أنا لسة عذراء، وأكبر هدية ل Satan إنه يشرب دم واحدة ملمسهاش حد، مش زبالة إللي بتـ Sacritice بيهم!

B-joint : أي شيطان تظنين أنك تضحين له؟ كل هذا الهراء لم

يكن إلا لمتعتنا الخاصة وأنت متعتنا الخاصة الآن هل صدقتي القصة الخائبة التي يرونها لكي يخـــدعوكم بها؟!

ثم صاحMax Melon من ورائهم فجأة، وبدا أنـــه توقف من الركض فجأة، "إنها صحفية!".

ثم استدار جميع المحيطين بالمشهد إلى الأربعة وكأن الصدمة كادت أن تبدأ ثأرًا ضد هذه الدخيلة، وبالرغم مـــن اســـتمرار الموســـيقى العنيفة، إلا أن الموضوع شد انتباه وصمت الكثيرين، وJoe نـــزل من سلم مجاور ليرى ما باستطاعته أن يفعل بها.

Max : أغبياء، لو كان أحدكم يتابع القنوات المحلية للاحـــظ ذلك من الوهلة الأولى!

ثم صرخ Joe غاضبًا بعد أن شد ٦٩ ذراعيها.

Joe : أيتها الساقطة! وكل هذه الأوشام على جسمك تظنين أن باستطاعتك خداعنا؟

B-joint : نضحي بها!

ظهرت Pain غاضبة للغاية.

Pain : نعم لقد طلبت ذلك هل تذكر؟!

B-joint : نعم

Joe : نعم!

وصاح الجميع "اقتلوا الدخيلة".

انتبه آدم على البار لما حدث، واستغرق بعض الوقت ليفهم أن الصحفية كانت سهير، فكان ذلك صوت صراخها وهي تقاوم، وشُلَّت رأسه تمامًا عن التفكير وبدأ ينظر حوله ليرى Pink السكرانة تُحقن من أحد الشباب في وريدها بسائل أزرق وهي تفقد الوعي تدريجيًا، ثم نظر إلى سهير وهم يسحبونها إلى حائط الذبح الذي يُضحون بالناس عليه للشيطان، وبدأ في النظر إلى Pink التي عادت إلى الشرب من زجاجة الفودكا التي خطفها أحد الشباب وصب محتوياتها على جسد Pink ليبللها تمامًا بالخمر المركز، وهي تضحك في سعادة عارمة وتلتف بالكرسي حول نفسها ولكن في سرعة ملحوظة، دفع الغضب آدم ليشعل قداحته ويرميها على صدر Pink المبلل حتى يتحول الجسم الفاتن إلى كتلة من النار التي اشتهت الاشتعال وساقت النيران Pink إلى حالة من الجنون حيث سارع الجميع إلى إطفاء النار، وشد الحدث انتباه الشباب الذين خدروا سهير كي يذبحوها، وسارع باقي الشياطين نحو Pink، حيث تُركت سهير لوحدها معلقة بالأسوار الحديدية على حائط دموي.

استغل آدم الفرصة بأن خلع الثوب الأسود ليظهر بزيه الجلدي المتميز وقناعه المخيف، وركض بسرعة نحو سهير المُخدرة، فاجأه اثنان قادمان من الحائط ليعترضوا طريقه، وبخفة يد أخرج الثعبان خنجريه المبللان بالسم، وعبر من خلالهم بسرعة الريح بعد أن ذبحهما من الرقبة، وتتطاير الدماء البسيطة في الهواء وتسلق السلم الطويل المضاء بالأنوار الحمراء ليصل إلى سهير، كانت الأسوار

بسيطة فلم يجد الثعبان أي صعوبة في تخليص يديها، حملها الثعبان على كتفه وبيد أخرى أخرج قنبلة مسيلة للدموع.

"انظر أيها الغبي، الثعبان أنقذ الأضحية"

صاح Joe إلى B-joint الذي ركض نحو الثعبان هو وبعض الشباب، لاحظ الثعبان أن كرسي عرش الشيطان الرمزي خال، وأدرك الهجوم القادم، فأطلق القنبلة التي أفرغت غازها السريع في جميع أنحاء المكان، واختفى صاحب القناع ومعه سهير بغتة.

كان الكثير من الشباب اللاواعي غارقين في عالم آخر، وباقي الشباب بصحبة Joe وB-joint وPain، خرجوا مسرعين إلى الباب الخارجي في أعلى السلم، اتسعت عينا Joe على آخرهما عندما وجد سيارة الثعبان السوداء ١٢٨ بالخارج، ويطل منها وجهه بكل برود ناظرًا إليهم.

صاح رجل ضخم و٦٩ بجنون وركضوا نحو السيارة ليقضوا عليه، وركضت Pain وراءهم بكرباجها، واستمر Joe وB-joint في النظر بذهول إليه وانتبها إلى أمر ما، كان الثعبان يُشهر مسدسه الفضي الضخم من الشباك، ولكن ليس أمام الثلاثة، أمام أمبوب صغير ملقى على الأرض أسفل السلم.

Joe : أغبياااااااااااااء!

وانحنى Joe وB-joint بسرعة قبل أن تُصيب الطلقة الثالثة من مسدس الثعبان الأنبوب، وتثور الأجواء ثورة من نيران الانفجار

الشرس لتقذف ٦٩ وPain بعيدًا وتُنهي عمر الفتى الضخم في ثانية، أما ٦٩ فقام بسلامة ونظر إليه Joe باحتقار وPain ظلت تصيح..

Pain : لن يقتلك أحد سواي أيها الأحمق!

B-joint : ها هي Fetish تقع في حب الثعبان

مشى Joe تجاه الزحام العشوائي ليرى أحد الشباب الذي بدا من الغرباء، كان الشاب يصور كل الأحداث بكاميرا رقمية وفوجئ بوجه Joe على شاشته الصغيرة، فركض الصحفي الذي عاون سهير سابقًا إلى الخارج قبل أن يصيح Joe: ٦٩! الصحفي!

فاصطدم الصحفي المصور بجسم ٦٩ الضخم الذي ابتسم له، وأوشك أن يفرم جمجمته، خاف الصحفي وأسقط الكاميرا من يده وركض بجن وهلع، التقط ٦٩ الكاميرا من الأرض، وذهب بها إلى Joe ليعطيها له، وبدأ Joe يفحصها بسرعة.

Joe : غبي.. غبي! أين كارت الذاكرة؟

٦٩ : الذاكرة داخلية!

وفوجئ بصاروخ من اللهب يعبر من فوق ظهره، وعندما التفت اكتشف أنه كرباج Pain

B-joint : سوف نكون على جميع شاشات التلفاز مرة ثانية "لدي خطة" ظهر صوت Max من الخلف قبل أن ينفخ دخان سيجارته

Max : لدي الحل

❖ ❖ ❖

في المشفى كان النور خافتًا ليظهر لطفي وهو ملقى على السرير في غيبوبته ينظر إليه كمال وآدم جالسين على كرسي أمامه:

كمال : كان المفروض تقتل الشيطان

آدم : كان المفروض أنقذ سهير الأول

كمال : سهير كانت طعم، إنقاذ سهير كان بروباجانـــدا هـــي كانت عايزاها، لو إنت ما أنقذتهاش كان إللي هينقذها موجود، وكانوا كتير

آدم : ولو قتلت الشيطان كانت لسه البروباجاندا هتحصـــل عشان الصحافة كانت هناك

وقف شريف أمامهم في الظلام..

شريف : لطفي قدامه مش أقل من أسبوع

نظر كمال إلى آدم

نتيجة عصيانك واحد منا انضرب بالرصاص

❖ ❖ ❖

وفي مشفى آخر أفاقت سهير لترى منى وصديقتها أمامها تحمـــلان بعض الورود..

منى : حمدا لله على السلامة

الصديقة : كانت لازمته إيه الشحططة دي؟!

سهير : طمنوني إيه إللي حصل؟

منى : البرنامج على الهوا دلوقتي والـ Video إللي اتسجل هيتعرض، الـ Reportage إللي حلمتي بيه صحى ناس كتير، أكيد أمن الدولة بعد كده مش هتسكت على عبدة الشيطان

سهير : والثعبان؟ ظهر؟

نعم ظهر، وعلمتْ بعدها أنه هو الذي أتى بها إلى المستشفى ورحل دون أن يلاحظ وجوده أحد.

منى : الثعبان مطلوب القبض عليه بالرغم من أنه كان بطل حقيقي.

سهير : الثعبان ظهر!

❖ ❖ ❖

كان التسجيل الذي أذيع على شاشات التلفاز يُثير غضب الSatanists وعزت، ولكنه تحلى بالبرود وهو يدخن السيجار الفخم في مكتبه الواسع المظلم والتلفاز يُظهر الثعبان وهو يحمل سهير.

عزت : Max إنت عارف هتنفذ الكلام ده إزاي؟

Max : بالحرف

عزت : الصحفيين توصلني شهادات وفاتهم أول ما تتاح ليكوا الفرصة، يا ريت بسرعة.

❖ ❖ ❖

الساعة الثامنة ليلاً في بيت عصري بسيط جدًا تملأه الأضواء الخافتة وبعضًا من الفوضى، كانت ليلى ذات الوجه الجميل الـذي شـوهته الأوشام وطقوس الـ Demons مليء بالحيرة، ذهبتْ إلـى دولاب خشبي لتفتحه، وأخرجت منه زجاجة من النبيذ الـرخيص، بعـد أن صبَّت الكأس انتابها شعور عميق بالإرهاق والتعب، فذهبت بكأسـها نحو درج خشبي آخر وفتحته بعد أن أغمضت عيناها لفترة طويلـة، ثم نظرت في ما يحتويه، زجاجات صغيرة من مخدر Venom التـي استهلكته كاملة.

"جميعها فارغة"؛ تكلم آدم من كرسي بعيد وهو جالس باسترخاء تام مرتديًا زي الثعبان، ما عدا القناع، استدارت بهلع!

ليلى : (بدهشة) كيف دخلت إلى هنا؟!

آدم : الباب كان مفتوح، ليست بمعجزة

ليلى : إذًا نسيته مفتوح مرة أخرى!

آدم : ومتى سيعود عقلك إلى مكانه؟!

ليلى : ماذا كنت تفعل في الأيام الماضية؟

آدم : كنت أشكر الرب أنك لم تكوني في حفل البارحة!

ليلى : إذًا الأخبار تصلك بسرعة

آدم : العالم كله شاهد وأنتم تظنون أنكم تختبئون

ليلى : هذه ليست الطريقة التي كنت ترحب بها دائمًا

آدم : الجميع يتغير يا صديقتي العزيزة، سنوات عدة لم أسمع صوتك فيها، وعندما أعود أجد صورة طبق الأصل مـن

أعدائي في الإنسانة التي أحببتها

ليلى : أنت لا تعرف شيئًا (ركضت إلى غرفتها).

لحق بها إلى غرفتها بغضب

آدم : يكفيني أن أعرف أنك قد بعت شرفك بثمن رخيص للغاية وأدمنتي الخمر والمخدرات

ليلى : ما زلت لا تعرف شيئًا

آدم : هل هناك هلاك أكثر من هذا؟ (وبدأ صراخه يعلو) هل هناك أسوأ من الزواج بـ Joe؟! بالمناسبة الزوجة رقم كم تكونين أنت؟! ظللت تركضين وراء الشهرة والمال حتى وصلت إلى الجحيم، لماذا أنت هنا؟ لماذا تستمرين؟

صعقت ليلى بشدة بسبب تأثير الخمر، وسقطت على ركبتيها وهي تسند على كرسي من الكراسي المجاورة وبدأت تبكي، وكانت هذه أول مرة أرى جبل الغرور والبرود بداخلها ينهار من أساسه!

ليلى : كل ليلة أنظر إلى المرآة وأرى شيطانًا ينظر إلي، وأظل انتظر الطفلة التي كانت بداخلي، لقد وعدتها أنني لن أتركها أبدًا، انتظر أن تأتي، ولو للحظة، وتخرجني من هذا الكابوس

آدم : ليلى، أنا هنا الآن، ماذا حدث؟ لماذا لم تكلميني كل هذه المدة؟

ليلى : Joe كان ابن صديق والدي كنت أظن أنه يحبني، وعدني بأنه سينتج لي أعمالاً كثيرة ويدخلني عالم السينما، كنت

أثق به، حتى أصبحت علاقتنا كما هي الآن، علاقة جسدية لا أكثر ولا أقل، كما كان يفعل مع أصدقاءه، أقدمت على تعاطي الحبوب ثم البودرة وأخيرًا الVenom، هذا الأخير هو سبب ضياعي! Joe يملك الكثير من العاهرات مثلي تحت رحمة الـ Venom، الاستغناء عن الـ Venom مستحيل، تمامًا كاستحالة الاستغناء عن Joe، أي محاولة مني للوصول إلى العلاج أو حتى الاتصال بطبيب حجة كافية لـ Joe ليبرحني ضربًا بالكرابيج، فأصبح لعبة Pain Fetish المفضلة، المرة الوحيدة التي حاولت فيها الهروب أصبح ظهري أنهارًا من الدماء، تُركت في غرفة مظلمة لمدة يومان لا أرغب في أكل أو شراب لا شيء سوء حقنة Venom تخلصني من العذاب، لم أتذكر عدد المرات التي قبَّلت فيها قدم Joe كي يرحمني من العذاب، لقد سلكتُ طريقًا لا رجعة فيه، ألم أقل لك إنك لا تعلم شيئًا؟

آدم : أين هو الآن؟!

ليلى : لا أعرف ربما يُدير إحدى الأماكن

آدم : ليلى اتكلمي عربي

ليلى : لا وقت لدي لهذه الدعابات!

آدم : أمال عندك وقت لإيه؟ لسانك اتعوج، حتى اللغة إللي بتتكلميها نسيتيها!

ليلى : ما نسيتهاش!

ظهر شاب مريب داخل الشقة، ثيابه غريبة وشعره طويل، كان ضعيف البنية وبدا مدمنًا للغاية، وكانت ليلى تنتظر منه شيئًا

ليلى : هل أتيت بما طلبته؟!

المدمن : (بخوف) نعم!

مشى آدم نحوه بوجه غاضب وشرس

آدم : ماذا لديك؟

ليلى : آدم سيبه!

المدمن : أنا بعمل إللي هي عايزاه!

مسك آدم المدمن من شعره، ورماه بقوة على حوض سمك كبير في الشقة، ليرتطم بالزجاج، وتنزل المياه لتختلط ببعض الدم الذي نزل من رأسه، فصرخت ليلى بجنون!

ليلى : إنت مجنون، أكيد مجنون، Joe هيقتلني

ذهب آدم إليه بهدوء، وأفاقه بالضرب على خديه

آدم : سهل جدًا التعامل معاكوا هات إللي في إيدك!

فأعطاه كيس البودرة ثم تحدث آدم إليه مرة أخرى

آدم : دلوقتي قوللي مين بيجيبلك حقن الـ Venom؟

المدمن : واحد معرفة

ليلى : آدم كفاية!

آدم : اسمه Max Melon

المدمن : أيوه

آدم : مين إللي بيديل معاه؟

المدمن : هو الوحيد، Joe مجرد أداة للتوزيع

آدم : مين الراس الكبيرة؟

ليلى : آدم سيبه! (وأخرجت مسدسًا تصوبه نحوه) المعلومات دي كلها عندي ممكن أنا أقولهالك

استغل المدمن الفرصة وأفلت من آدم يركض مسرعًا للخارج، نظر آدم إليها بعين الغضب

آدم : بترفعي السلاح على الإنسان إللي ساعدك؟!

ليلى : بالطريقة دي هتدمرني وتدمر نفسك

آدم : ليلى أنا مش قليل الحيلة زي زمان، في ناس..

قاطعته ليلى بسرعة..

ليلى : لو فعلاً قوي ومش قليل الحيلة يبقى تقدر تنقذ أمال

آدم : مين؟ أمال صبحي؟

ليلى : نفس القصة، طبق الأصل، بس الفرق بيني وبينها إنها لسة في البداية وهتتجوز B-joint أو٦٩

نظر إليها باستغراب

ليلى : أيًا كان هي كانت على علاقة بالاثنين في نفس الوقت بس لسة Venom مش في جسمها زي ما هو في جسمي.

وابتلعت ريقها وهي تنزل المسدس رويدًا رويدًا وعندما اقترب آدم منها رفعته بسرعة نحوه

آدم : ليلى

ليلى : الكيس يا آدم (وبدأت الدموع تسيل من عيناها) ارحمني آدم هات الكيس

آدم : لأ

ليلى : هات يا آدم الكيس

احتار آدم قبل أن يضغط على كيس البودرة بكل قوته ونزعه نصفين كي تقع محتوياته على الأرض، اتسعت عينا ليلى على آخرهما وثارت ثورة عمياء على آدم الذي وقف ضعيفًا للغاية.

ليلى : مين قالك تيجي تاني؟ أنا بكرهك! عايز تدمر حياتي! عايز تقتلني؟!

تركته ورمت جسمها على الأرض كي تستنشق بأنفها البودرة التي وقعت على السجاد، واستعملت يدها بكل ذل كي تجمع الهيروين وتستنشقه بشراهة، نظر إليها آدم بكل شفقة وانهيار نفسي.

آدم : عمري ما تخيلت إنك تكوني من العبيد، ده مش بس ذل ده الجحيم نفسه، وإن كان في شخص دمرك يبقى إنت!

وانصرف آدم بغضب شديد، ولم تلتفت إليه ليلى حتى اكتفت بقدر كاف من البودرة وعادت إلى وعيها مؤقتًا

❖ ❖ ❖

كان آدم في غاية الضعف وهو يفتح باب القصر الذي سكنه، وبعد أن أغلقه من وراءه فوجئ بصدمة لم يكن يتخيلها، كانت سهير تجلس مسترخية على الأريكة الفخمة تشرب فنجانًا من الشاي.

سهير : حمد لله على السلامة!

آدم : جيتي هنا إزاي؟

سهير : السؤال الحقيقي هو عرفت مكانك إزاي؟

آدم : عارفة السؤال؛ يبقى عارفة الإجابة

(وقفت سهير لتمشي تجاه آدم بخفة)

سهير : ساندرا والمدرسة! رايحة جاية، نقطة ضعف قديمة أوي، لو كنت مكانك كنت جيبتلها مدرس خصوصي ووفرت على نفسي التعب والخطر.

آدم : زمان كنت نكرة بالنسبة لك! إيه إللي حصل خلى سهير فجأة تتجسس عليا عشان تعرف مكاني وتشوفني؟ وتدوري حوليا زي الحية؟!

(دارت حوله كالحية)

سهير : ممتاز! بالضبط كده! لو أنا حية يبقى إنت الثعبان! مش كده؟ ولا أنا غلطانة؟

آدم : رغبتك المُلحة في إنك تلاقي البطل خلتك تتجنني! إيه إللي يخليكي تفكري كده!

سهير : طول عمرك ساذج يا آدم، حتى وإنت بطل، لو إنت مش الثعبان ما كنتش مشيت في جنازتك، ما كنتش

مت رسميًا، ما كنتش أنقذتني من الموت أول امبـــارح بالليل! ما كنتش إنت حبيتني زي ما إنت لسه بتحبني.

آدم : إيه النظرة إللي في عيونك دي؟!

سهير : يا ريتني عرفتك على حقيقتك من زمان!

آدم : دلوقتي بس! بعد الشهرة المزيفة إللي إنـــت فـــاكراني فيها؟!

سهير : آدم! كل نظرة في عينيك بتقول إنك الثعبان، وكل نظرة بتقولي بحبك

زاد التوتر كثيرًا داخل آدم، إلى درجة كادت أن تُسبب لـــه إغمـــاء، ليس هذا الشخص الذي تمرد على الواقع وأمسك بالأسلحة وتعـــود القتل، يبدو أن آدم يصبح شخصًا آخر تمامًا إذا ارتدى القناع! فبدونه الآن أمام سهير، هو كالطفل الضعيف الذي يبحث عن مخرج مـــن هذا الكابوس، ليس أمامه إلا أن ينكر هويته!

آدم : والدِكْ قبل ما يموت ســـابلك فلـــوس كثيـــر، شـــكلك حتصرفيها كلها في العلاج النفسي (استدار ليبتعد عنها)

سهير : حتى البلطو المصنوع من جلد الثعبان الأسود ده بيثبت كلامي، كنت لابسه ليلة الأضحية، وظاهر في السَـــبْق الصحفي إللي عملته!

آدم : سهير! (صرخ عاليًا)، أنا مش مجرد ســـبق صـــحفي عشان حضرتك ترضي بيه غرورك! أنا صاحب أتعس حياة في الدنيا، أنا مستخبي هنا لدواعي أمنية وسرية

جدًا بعيدة كل البعد عن الفيلم الهندي إللي مصر عايشة فيه علشان تِشغل الرأي العام، عن ما هو أهم

سهير : ممتاز! معلومة ممتازة، يعني اللعبة دي كلها عشان إشغال الرأي العام!

آدم : بالضبط! وإنت جزء سخيف منها (أمسكها بشدة ليدفعها نحو الباب ويطردها) كذلك سيد الغلبان، وقوليله يبطل سياسة! العملية مش جايبة همها!

انصرفت سهير بغضب بعد أن انتفضت من قبضة آدم، فناداها آدم بسرعة، فلقد انتبه لشيء ما، بالرغم من ضعفه فهو لم يكن غبيًا، مشاعر الحب التي تحولت إلى كراهية وغيظ من سهير جعلته يتوخى الحذر، وهو أيضًا كان لديه حسًا إعلاميًا

آدم : سهير (بعد أن وقفت، أخذ آدم حقيبتها بغل، وفتحها ليجد جهاز التسجيل الإلكتروني الحديث، فأمسك به ورماه في نار المدفأة بغضب)، زي ما قلتلك أنا مش سبق صحفي.

وانصرفت سهير الفاتنة بغضب الدنيا كله

❖ ❖ ❖

كانت المروحة الحديدية تقطع شعاع النور الخفيف الذي سُلِط على آدم وكمال داخل غرفة ضيقة، وجرى حديث شبه هادئ ولكن محتقن.

كمال : مبروك

آدم : ليه؟

كمال : بطريقتك دي كل حاجة هتنكشف! قلت لك بدل المرة ألف، إنت، مش، شغال لوحدك!

آدم : بس متحمِّل كل المخاطر

كمال : (صاح في وجهه) إحنا إللي بنوجِّهك عشان نوصل للهدف يا آدم! صحيح إن الشيطان إن ما اتقتلش النهاردة هيتقتل بكرة، بس ده بيضيع من وقتنا، وده لوحده أكبر خطر

آدم : أوعدك إن كل حاجة هتمشي حسب رغبتك بعد كده، أما إللي حصل، فده، كان..

كمال : كان نفسك تشوفها من زمان، وكان نفسك تذل سهير، وأديك نفذت رغباتك (اقترب كمال من وجه آدم، لينتقل إلى نقطة أهم) العملية إللي جاية ممكن تكون مجرد بداية، بس البداية دي هي بداية النهاية، نقدر نعرف السبب الحقيقي وراء تقصير الأمن في القبض على العيال دول، عملية واحدة تكشف الشبكة الكاملة كلها، ومش هيفضلنا بعدها غير التنظيف

آدم : سامعك

كمال : (أعطاه صورة فوتوغرافية) المسئول ده أكتر واحد إحنا شاكين فيه، ممكن يكون أكتر واحد متواطئ مع Max Melon وراضي بالمهزلة دي، النهاردة هتجهز

نفسك عشان تسافر الساحل بكرة، الدكتور وحيد مراد إنسان ضعيف جدًا، الشيء الوحيد اللي مقويه هو الأمن والحراسة اللي حواليه، هو حاليًا في مارينا.

آدم : طالما في جهاز أمني زيك، أسهل حاجة بالنسبالك إنك تدخَّل رصاصة في دماغه بعد ما تعرف منه كل حاجة، ليه أنا إللي أعمل كده؟

كمال : أنا مش عايزه يموت، افتكر دايمًا إنك إنت الإيد غير القانونية بتاعتي، وللحق، هقولك حالاً على التفاصيل وإيه المطلوب بالضبط

❖ ❖ ❖

في كازينو فخم للغاية داخل مارينا بالساحل الشمالي، كانت الموسيقى والأضواء المتحركة تداعب وجه الدكتور وحيد الضخم صاحب الوجه الدهني والشعر الناعم، وفتاة ساحرة في كل جانب يأنسانه بطريقتهم الخاصة، أما الحرس الأشداء فكانوا أربعة حوله، كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا، عندما سلك كل من الدكتور والفتاتان والحراس طرقات خاصة تؤدي إلى الجراج السفلي، وفي هدوء تام استقل كل حارسان سيارة جيب سوداء، وذهب الدكتور وحيد والفتاتان إلى سيارة مرسيدس فخمة يقودها سائق خاص، بعد أن انطلق كل بسيارته فوجئ كل سائق بانقطاع التيار الكهربائي داخل الجراج، وتوقف كل منهم للحظة.

وحيد : إيه القلق ده بقى! ما تمشوا يا كلاب ورانا شغل

وعاد التيار الكهربائي بعدها بسرعة، مشت كل سيارة وراء الأخرى حتى وصلوا إلى انحراف إجباري يمينًا داخل الجراج، وكانت الصدمة المباغتة للحارس الذي قاد أول سيارة، رأى الثعبان، بشحمه ولحمه واقفًا أمام السيارة بكل استهتار، الجميع يعرف شكل الثعبان، قناعه كان مخيف إلى حد ما، وقبل أن يصل السائق الحارس إلى الثعبان ليدهسه بسرعة فوجئ أن إطارات سيارته أفرغت من الهواء بسبب الدبابيس العديدة التي كانت على الإسفلت، فأجبر على التوقف، وكذلك السيارتان من ورائه.

وحيد : كده كتير!

نزل الحراس الأربعة من سيارتهم ليرفعوا مسدساتهم باتجاه الرجل الثعبان الذي وقف دون أن تهتز له شعرة، ومشى كل منهم باتجاهه، حتى بادر أحدهم بإطلاق الرصاص على الثعبان من رشاشه الآلي، وتبعه الباقي ليملأوا الجراج بجحيم صوت المدافع، أما الثعبان فقد وقع على الأرض وكأنه قطعة من الحديد الفارغ.

الحارس : (صرخ) ده تمثال!

وفي الوقت الذي كان الحراس الأربعة ينظرون إلى التمثال، كان وحيد في قمة رعبه عندما سمع صوت أقدام شخص ثقيل تدب على سطح سيارته، كان الثعبان بمسدسيه الفضيين يُطلق أربع رصاصات على ظهر كل من الحراس، ليقعوا على الأرض فورًا، أما السائق فخشى أن يترك كرسيه واكتفى بغلق مفتاح الباب، ولكنه رأى يدًا

حديدية ترتطم بالزجاج لتحطم جزء منه، وتعود إلى مكانها قبل أن تعود اليد الأخرى بمسدس فضي ينهي مسألته، لم تنتهي البنتان من الصراخ المتواصل، حتى تمكن الثعبان من دخول السيارة من مقعد السائق ويواجه الثلاثة داخل السيارة، وجهًا لوجه، وكان وجه وحيد كالطفل الخائف من العقاب، ووجه البنات كالعاهرات المستعدات للتوبة، وانتفض جسم كل منهم مع أول كلمة يتكلمها الثعبان، الصوت الذي خرج من قناع يضخم صوت آدم.

الثعبان : منتهى الغباء، إنك تخلي جراج فاضي عشان زيارة السيد الوزير

وحيد : قوللي إنت عايز إيه وأنا أعمله، بلاش قتل أرجوك

الثعبان Max Melon عبدة الشيطان

وحيد : الموضوع ده بالذات حساس شوية ما تنساش إن في مصر قانون جديد للحريات

❖ ❖ ❖

أطلق الثعبان أربع رصاصات على الفتاة الأولى، وصرخت الثانية بهلع.

❖ ❖ ❖

الثعبان : كان القانون مسوده سخيفة، إنت إللي طرحتها في برلمان

وحيد : صعب ألغيه

الثعبان : ليه عملته، مين اليد الخفية لعبدة الشيطان غيرك؟

وحيد : أعرف إنه رجل أعمال كبير أوي وMax كان واسطته الوحيدة عشان ما يكشفش نفسه (صمت وحيد قليلاً وهو يبتلع ريقه) صورولي أكتر من فيلم في بيتي وأوضة نومي مع واحدة من إياهم، زي المدام (وأشار إلى الفتاة التي جلست إلى جانبه) وهددوني بيهم.

الثعبان : عايز كل التفاصيل عن طريقة تعاملك معاهم، إزاي بتتقابلوا، بعد ما اقتل Max هعرف مكان نسخ الأفلام وإنت تلغي القانون، أو تستغل معارفك وتحرك الأمن المركزي عشان يقبضوا على عبدة الشيطان.

وحيد : كده البلد هتولَّع

الثعبان : البلد مولعة طبيعي، وإنت مش فارقة معاك

وحيد : تبقى غلطان لو كنت فاكر إن إحنا إللي ماسكين البلَّدي أطلق الثعبان رصاصتان على صدر الفتاة التي كانت جالسة إلى يساره، فانتفض جسد وحيد بشدة بعد أن أحس أنه التالي.

الثعبان : بس المرة دي أنا مصمم ما أغلطش، إن ما كنتش هتساعدني، هقتلك، وهتولى موضوع عبدة الشيطان بنفسي، وهنجح نجاح ساحق.

وحيد : خلاص هقولك على كل حاجة، وهعمل إللـــي تقولـــه بس، أرجوك حاول تحميني بعد ما ألغي القانون.

الثعبان : أنا هتولى حمايتك منهم، لكن مـــش هتلاقـــي إللـــي يحميك مني، وصدقني لو البوليس أو أي جهة رسمية عرفت باللي حصل بينا تأكد إني هلاقيك حتى لو الجيش المصري كله بيحميك.

وحيد : التفاصيل كتيرة، معاك ورقة وقلم؟

أخرج الثعبان جهاز تسجيل حديث وبدأ يســجل كــل صغيرة وكبيرة عن كل شيء، حتى صــفقات الـــــ Venom وأسرار أشبه بالفضائح!

❖ ❖ ❖

كان Virus بسيارة الـــ ١٢٨ بالخارج يحاول دخول الجراج الذي كان بداخله الثعبان، واستوقفه الحارس الوحيد أمام المدخل.

الحارس : ممنوع حضرتك

Virus : ممنوع حضرتي إزاي يعني؟

الحارس : ممنوع دخول العربيات عشان سيادة الوزير جـــوه، وفي دواعي أمنية

Virus : أمنية دي تبقى أمك!

الحارس : لو سمحت بقى تتلم وتبعد عن هنا قبل ما..

Virus : مين قالك إني داخل الجراج؟

الحارس : أمال إنت يا صايع جاي تعمل إيه؟

Virus : (مبتسمًا) جاي أخرج

فوجئ الحارس بصوت مدفع الثعبان الذي دمر البوابة الخشبية البسيطة لمجرد لفت الانتباه، ومشى بكل سرعة نحو الحارس الذي اتسعت عيناه من المفاجأة، وحاول إخراج المسدس وإطلاق رصاصة على رأس الثعبان وقد فعل، ولكن قناع الثعبان كان متينًا للغاية، لم تُحدث الرصاصة أي أذى سوى الصوت، بطريقة الثعبان الخاصة، مشى إلى الحارس وانتشل المسدس من يده، وباليد الأخرى انتشل قبعته، ورماهما بعيدًا، وركب سيارته مع Virus وانطلق الأخير بسرعة غير معهودة، انطلق بعيدًا قبل أن يأتي زميله الحارس الآخر، راكضًا إليه وهو يغلق سوستة البنطلون.

الحارس ٢ : أنا سمعت صوت ضرب نار وأنا في الحمام! في إيه؟

كانت السيارة الجيب الضخمة التي شاهدت كل ما حدث خارج الجراج واقفة على بعد مسافة كافية للرؤية الواضحة، داخل السيارة كانت سهير تمسك جهاز حديث توضح شاشته الملونة موقع سيارة الثعبان على الخريطة وهي تتحرك بعيدًا، كانت سهير قد وضعت جهاز تنصت وتتبع صغير أسفل سيارة آدم عندما كانت تزوره في القصر، وقد عرفت أين ذهب Virus وأين موقع كمال، موقع التدريبات والأعمال

الإلكترونية، والآن هي خلفه مع اثنان من رفاقها الصحفيين، يصورون ويتابعون كل شيء.

أحمد : مش إحنا عرفنا تقريبًا كل الأماكن إللي بيروحوها، نمشي وراهم ليه؟

سهير : لازم نصور كل حاجة، العالم كله ما شفش تجربة حقيقية زي دي!

بركات : لولا التكنولوجيا إللي سهير جايباها كنا قعدنا في البيت، شكرًا سهير.

سهير : وراهم، قبل ما يبعدوا.

❖ ❖ ❖

"أول الخط Max Melon إذا وصلت له، هوصل للـ Mainframe هدمر كل ملفاتهم الإلكترونية، الـ Websites شبكات الاتصال مع عبدة الشيطان في خارج، الServer والأهم، نُسَخ أفلام وحيد، ساعتها، عبدة الشيطان هيكونوا قصة قبل النوم"، تكلم الثعبان وهو جالس إلى جانب Virus، وكانت السيارة تطير فوق الإسفلت.

Virus : هتعمل إيه في الـ Mainframe؟

لم يرد الثعبان واكتفى بالصمت المرعب الذي اختلف عن صمت آدم.

❖ ❖ ❖

دقت أجراس الكنيسة البسيطة التي كان موقعها منعزلاً عن المدنية، حيث سكون الليل والأضواء الخافتة، وظهر الصليب لأول مرة من

النور الداخلي مقلوبًا، إشارة واضحة أن عبدة الشيطان قد أتوا إلى هنا أو شيئًا آخر، كان آدم يتسائل ما الذي يجعل أناس فاجرون يستغلون بيتًا من بيوت الله في شيء كهذا؟.

أسلوب ذكي جدًا للتمويه، علِمَ من الدكتور وحيد أن هذه الكنيسة مجرد مبنى لا أكثر ولا أقل، ففي الساعة الثانية والنصف بعد نصف الليل ينقلب الصليب لمدة خمس دقائق فقط، هذه كانت إشارة للدخول، كان من المفترض تسليم شحنة جديدة من مخدر Venom إلى Max Melon من العصابة التابعة له، مجموعة من المروجين الذين تعاقدوا معه على ذلك.

انتظر Max واقفًا أمام الصليب المقلوب وحوله مجموعة من الحرس الذين أرسلهم عزت لحماية عملية التسليم والاستلام، استلام المخدر، وتسليم المال، وفتح الراهب باب الكنيسة المزيفة بعد أن سمع أحدهم يطرق الباب بالطريقة المتعارف عليها ووجد آدم بزي أنيق ومعه لطفي، وبعض الرجال من خلفه..

الراهب : هذا مكان للعبادة.

آدم : نعترف

الراهب : هل خطاياكم عدة؟

آدم : وهل يهم العدد أمام رحمة الله؟

أومأ الرجل برأسه بعد أن تأكد من كلمة السر، وفتح الباب ليدخلهم، مشى السبعة إلى Max ورجاله في آخر البهو

وبدأ Max بالكلام

Max : إيه ده؟ أنا شاكك فيكوا إنتو بوليس

آدم : إحنا البوليس وإنتو الشرطة وفي حالة حرب نبقى جيش

تعجب Max من أمر ما، فعلم أن كلمة سر الخطر صحيحة!

Max : غريبة إنت حتى عارف كلمة السر إللي بيني وبين Babsi بس! ليه مفيش حد من الطقم جه معاك؟

آدم : الطقم القديم اختار طقم جديد عشان خايف من الخطر، وصلتنا أخبار إن الثعبان وصل للراس الكبيرة أو حد مهم، وكُون إن الأخبار دي تتسرب من عندكم معنى كده إن في خلل في النظام، وهما مش عايزين ينكشفوا، فضَّلوا المعاملة يكون فيها حرص، ده غير إن الخطر موجود، وعايزين الأجر يعلى.

Max : الخطر موجود في مهنتنا دي على طول

آدم : بس زاد، ودلوقتي عايزين ثلاثة مليون بدل اثنين

Max : يبقى نتفق على كده الدفعة الجاية، معاك الVenom؟

آدم : الفلوس الأول

Max : شكلكوا جداد فعلاً!

فتح Max الحقيبة الجلدية ليكشف عن كم هائل من الدولارات، فنظر إليها آدم ولطفي وأغلقها آدم بنفسه وأعطاها للطفي، فأخذ منه حقيبة أخرى وأعطاها لـــ

Max وأخذها دون أن يفتحها.

آدم : مش هتتأكد من البضاعة؟

Max : (ابتسم) مش بقولك إنتو جداد! هتاخدوا وقت على ما تثقوا فينا

فتحها Max لتنفجر قنبلة غازية رهيبة في وجهه، وتنفجر من مسدسات آدم ورجاله رصاصات تصيب رجال عزت، حتى انتشرت الغازات المنومة في الكنيسة كلها، كان لطفي يحمل Max المُغَيَّب في شوال كبير وهو يمشي خارج الكنيسة مع آدم ورجاله، عندما وصل إلى عربة ضخمة سوداء فتح بابها ليظهر Virus وراءه رجال المروجين الحقيقيين وهم نائمين بتأثير مخدر.

لطفي : إيه الأخبار؟!

Virus : وشرف أمك أنا واخد بالي من كل حاجة، اطلعوا وأنا طالع وراك

آدم : Virus، خد الجماعة لزنزانة المقطم، أكيد هيدلونا على حاجات تانية كتير

❖ ❖ ❖

جلس آدم أمام حقيبة الـ Venom المكشوفة المليئة بحقن المخدر، وتذكَّر في الظلام وجه ليلى المسكينة التي كان يتصل بها في الثالثة صباحًا، كانت ليلى نائمة على سريرها مع Joe الآن..

ليلى : ألو؟

آدم : ليلى..

لم ترد ليلى لمدة خمس ثواني وأقفلت الخـــط، اســـتيقظ Joe الذي كان يعانقها

Joe : من كان يتكلم؟!

ليلى : رقم غلط

انتظرت حتى نام Joe وظلت مستيقظة، أما آدم فأصابته حالـــة مـــن اليأس لمدة دقيقة قبل أن تصله رسالة على جوَّاله من ليلى ومحتواها كالآتي، "الثلاثاء، ٢:٣٠ مساء انتظرني في بيتي وسنذهب إلى هناك، شكرًا، هل حقًا تستطيع إنقاذها؟"

آدم : طبعًا!

❖ ❖ ❖

كان جسد Max يتدلى من حبل مربوط من السطح، وكان قد عاد إلى وعيه في الصباح داخل الغرفة المظلمة، التي جلس فيهـــا كـــل مـــن Virus (أمام جهاز كشف الكذب)، والثعبان بزيه المخيف، وبينما كان غرور Max يمنعه من الكلام، كانت رأسه المتدلية إلى الأسفل ترى وجه الثعبان بالمقلوب تتأرجح يمينًـــا ويســـارًا، واســـتمر الصـــوت المرعب يربك كيان Max.

الثعبان : كل حاجة.. عايز أعرف كل حاجة

Max : لو اتكلمت أنا هخسر حياتي، بس إنت وأصحابك هتتعذبوا

مش أقل من ٥٠ سنة لحد ما تموتوا من العذاب

الثعبان : لو استمر الحال ده هتولى تعذيبك بنفسي مية سنة وكفاية عليا أشوفك بتصرخ من الألم، نبتدي التنفيذ

ضربهُ الثعبان بيده الحديدية في وجهه؛ ليتأرجح جسده بالكامل في الغرفة المظلمة وتبدأ الدماء تسيل من أنفه وفمه إلى رأسه

Max : (صرخ) أنا عبد المأمور!

نظر Virus إلى جهاز الكذب وعلَّق على ذلك، بعد صدور صوت الجهاز

Virus : بيكدب يا ريس

عاود الثعبان ضربه بشده في الوجه، وزاد صوت الثعبان رعبًا مع صيحاته المخيفة، صوته ضخم، ضخم إلى أقصى حد، كاد Max أن يبول على نفسه..

الثعبان : لنفترض إنك عبد المأمور، مين المأمور؟

Max : هموت! هيقتلني، كان المفروض أكون عنده دلوقتي وطالما ما رحتلوش أكيد، أكيد عرف إني انكشفت وبعت رجَّالته عشان يصفوني!

نظر الثعبان فورًا إلى Virus ليعرف منه صدق كلامه

Virus : آه إيه! بص يا ريس هو ممكن بيقول الحقيقة بس شكل أمه مخبي حاجة!

ذهب الثعبان ليلتقط كرباج متين ونزع قميص Max ليكشف ظهره.

Max : لأ لأ!

الثعبان : جربت رياضة Pain Fetish؟

وضربه بقسوة بالكرباج على ظهره واستمر Max في الصراخ

الثعبان : أسلوب Pain، مجرد فواتح شهية عند الثعبان! تخيل، أسبوع كامل من العذاب المتواصل، مجرد بداية البداية!

Max : رجل أعمال كبير أوي! أوي! مِلوِّش سلطة كل الناس، أصحاب المناصب كل أصحاب الثروة أداة في إيده، اشتراهم كلهم، متسألنيش إزاي.

صدر صوت من جهاز كشف الكذب

Virus أم الكذب

واستمر الثعبان في ضربه

Max أوكي أوكي أنا مش متأكد إزاي، بس أكيد وسيلة منهم كانت زي ما عمل مع الأستاذ وحيد باشا! وتانيين، بص هو له أساليبه الخاصة وعارف نقط ضعف الناس كلها

الثعبان : الأفلام إللي سجلتوها لوحيد وغيره، فين؟

Max : ده مش اختصاصي أنا مش حمار Computer!

صدر صوت آخر من الجهاز

Virus : كدب أمك!

ذهب الثعبان بعيدًا ليرمي الكرباج بغضب ويلتقط بيده الحديدية ثعبانًا حيًا مخيفًا ومرعبًا وهائجًا كان مستقرًا داخل صندوق زجاجي، أمسك به آدم من رأسه بصعوبة وذهب به إلى Max، الذي هلع رعبًا من

شكله وصوته.

الثعبان : الظاهر إني هاخد قرار جديد، صاحبي ده، أشرس أنواع التعابين، لو سممك هتموت موتة بطيئة، لما تحس إن النار نفسها بتجري في عروقك، هتتمنى الموت ألف مرة قبل ما تلاحظ إنك فعلاً ميت ولسه بتعاني من الألم!

هجم الثعبان الحقيقي فجأة على وجه Max الدموي قبل أن يشده آدم بعيدًا

Max : (صرخ) لأ لأ! الأفلام كلها Soft copy على الـ Mainframe الرئيسي

الثعبان : فين؟!

Max : المعادي، فندق Rafael الدور الثالث تحت الأرض!

الثعبان : مقر عبدة الشيطان؟!

Max : المقر الرئيسي، بس مش الأساسي، هو أمان لهم عشان تحت حماية حرس بيت السفير الإسرائيلي.

الثعبان : وصاحبك رجل الأعمال؟!

Max : مش هناك على طول، بس دايمًا يوم السبت في مكتبه آخر دور، نظر الثعبان إلى Virus

Virus : للأسف، بيقول الحقيقة

Max : بص بص هقولك على كل حاجة؛ بس احميني منه

الثعبان : في حاجات كتير هعرفها منك لحد ما أوصل لصاحبك

Max : قبل ما توصل لصاحبي إلحق صاحبك الأول!

الثعبان : مين؟!

Max : الشلة كلها بربطة المعلم، مراقبين الجماعة الصحفيين إللي فضحوهم من ساعة الحفلة، والليلادي هيدبحوهم حقيقي، تضحية، مش اسمها سهير برضه؟!

❖ ❖ ❖

كانت سهير تسير بسيارتها الجيب الفاخرة عبر شارع مظلم، ومعها رفاقها الصحفيين في السيارة..

سهير : رسالة على تليفوني من نمرة غريبة بتقولي في نشاط للـ Demons قريب من هنا!

بركات : ما بلاش الشوارع الظلمة دي يا بنتي!

سهير : دي بلدك يا بركات، بعدين أنا الكل في الكل هنا، تعرف إنت تخرَّم التخريمات دي ولا خايف؟

أحمد : خايف! خايف بعدين عبدة الشيطان يطلعوله!

سهير : بركات، دول ناس ضعفاء جدًا تتوقع إيه من إنسان عايش عمره كله خمرة ودخان ومخدرات؟

بركات : أتوقع أي حاجة!

سهير : ناس صحتها بايظة، هيعملوا إيه يعني هيضربوك؟ ده ما يعرفوش حتى..

ولم تكمل سهير كلامها حتى اصطدمت بها سيارة كبيرة خرجت من تقاطع جانبي، ومن شدة الاصطدام صرخ كل من كان داخل سيارة

سهير حتى ارتطمت بالحائط، وبسرعة أوحت بترتيب أصحاب السيارة الأخرى خرج منها كل من Pain Fetish وأربعة من الـ Demons راكضين ليشدوا الصحفيين إلى طرقة مجاورة لا يسمع أحد فيها شيء.

ربط كل واحد من عبدة الشيطان صحفي من يده ورماه آخر الطرقة كالقمامة، حتى استوعب كل منهم الأمر، ووقفت Pain بكرباجها الطويل أمام الأوغاد ناظرين إلى المساكين على الأرض، وبدأت Pain حديثها باللغة الإنجليزية كالعادة.

Pain : إذًا! أنت سهير الساقطة التي يدَّعون أنها أجمل مني؟

حاولت النهوض بصعوبة وهي تقول

سهير : لو أني ساقطة ماذا تكونين أنت؟

مالت Pain عليها وهي تهمس

Pain : ما هذه الروح الشجاعة؟ أنت تمدحينني يا فتاة؟ ولكنك لا تعرفين أنني ابتهج كثيرًا من المدح وأعشق أن أعذب من يمدحني، ٦٩! أربطها جيدًا على الحائط

استجاب ٦٩ بسرعة هائلة وأعدَّت Pain الكرباج لها بعد أن عرى ٦٩ ظهر سهير

Pain : لقد أحببتك كثيرًا ولكن كما تعرفين، الحب دائمًا يؤدي للعذاب

سهير : (صرخت) وما ذنبي إن كنت معقدة من قصة حب قديمة؟!

Pain : خطأ! إنها قصص وليست قديمة!

وبدأت Pain في ضرب سهير مرة، تلو الأخرى، حتى كادت سهير تغيب عن الوعي من الألم والصراخ والبكاء، وظهرها يتمزق كأن صواريخًا من النار تعبر فوقه دون توقف، حتى صرخ الرجلان محتجين.

Pain : اضرب المربوط يخاف السايب شكلكوا خايفين

أحمد : الشرطة جاية حالاً، وبحكم القانون هتتشنقوا!
أصدرت أوامرها لـ ٦٩ وباقي الفريق بغضب!

pain : إلى ماذا تنظرون أيها الحمقى؟ الرجال هنا بحاجة إلى ترفيه!

هجم ٦٩ والأربعة على أحمد وبركات، وضعوا بركات على كرسي حديدي وأحمد معلقًا على الحائط، حتى أتى واحدًا من الأربعة بشنيور موصَّل بمولِّد كهربائي من السيارة، والآخر بقطبين من نفس المولِّد، هلع أحمد وبركات من الرعب وصاح الأخير:

بركات : عايزين إيه؟ عايزين إيه وإحنا نقوله

٦٩ : مش عايزين غير إننا نفضل نعذب فيكوا لحد ما تموتوا

وابتلع ٦٩ بعضًا من زجاجة الخمر بيده، ثم وضعها جانبًا وأمسك بقطبي الكهرباء ليوصلهما بكرسي بركات، وانتفض جسد بركات من تأثير الصدمة الكهربائية الضخمة لمدة ١٥ ثانية، ثم فصل ٦٩ التيار ليريحه وظل بركات يصرخ من الجنون متوسلاً لـ ٦٩ أن يكف عن

تكرار الفعلة نفسها، مرارًا وتكرارًا.

أما الاثنان الآخران فقد شغَّلوا الشينيور وأمسك أحدهم بقدم أحمد المربوط، وأدخل الآخر الشينيور في لحم أحمد، فوق ركبتيه مباشرة ليخترقها حتى العظم، وصرخ الأخير كالمجنون! كالطفل من الألم المفرط، أقاموا الأوغاد سيمفونية الصراخ في الطرقة بتعذيب الصحفيين في وقت واحد لمدةوجيزة، حتىفوجئت Pain بمن ينظر إليها من بعيد أول الطرقة، ومن شدة الغضب من برودة، رمت Pain السيجارة بعيدًا، ونظرت إليه بعد أن توقف الجميع عن التعذيب، وصدرت أصوات الثعبان المرعبة من قناعه كالعادة.

الثعبان : إنهم ضعفاء

٦٩ : إيه؟! صعبانين عليك الصحفيين؟ دفعتلهم كام علشان الدعاية يا Sin-Slayer؟

الثعبان : ولا نكلة، أنا كمان بكره الصحفيين

Pain : كويس، (مسحت Pain الماء من فمها) معنى كدة إننا متشابهين!

٦٩ : إيه رأيك في كرهك لنفسك يا ثعبان؟ تفتكر ممكن يقتلك؟

الثعبان : أو يقتلك إنت!

Pain : كلانا سيموت يا قاتل الخطيئة! وسخرت من اسمه وهي تبتسم، الجدال هنا هو من سيموت قبل الآخر

الثعبان : وكيف؟

وأطلق الثعبان رصاصة سامة من مسدسه بسرعة غير معهودة على رقبة الشاب الذي أمسك بالشينيور، وركض سريعًا نحوهم وثلاثة من عبدة الشيطان يطلقون رصاصاتهم عليه، ولكنه لم يتأثر حتى وصل إلى ٦٩، الذي لكمه بكل شدة في قناعة ليسقط أرضًا، ولكن الثعبان استغل الفرصة ليُخرج خنجره المسمم ليذبح اثنين به، ويتطاير دمهم على الأخير الذي ركض بعيدًا ومعه Pain التي ركضت هي الأخرى نحو سيارتها وهربت.

وبينما كان الثعبان ينظر إليهم أمسك به ٦٩ من رقبته ورفعه عاليًا ليطرحه أرضًا إلى جانب بركات، وركل الثعبان بعيدًا لينقض عليه على الأرض ويمسك برقبته مرة أخرى.

٦٩ : آه آه! ماسك قوى فعلاً (وظل يضرب برأس الثعبان على الأرض) بس الرقبة طرية موووووت موووووت

نظر الثعبان إلى قطبي الكهرباء إلى جانبه ومد يده بسرعة ليلتقطهما بخفة..

الثعبان : فعلاً

وصُعِقَ ٦٩ بصدمة كهربائية بسيطة ليرتمي جسده بعيدًا ويقع جانبًا، وعندما وقف التفت حوله ليجد أن الثعبان لا أثر له ولا أثر للخنجر، ولكن فجأة وجد يدًا تشد شعره من الخلف لتكشف حنجرته، ويدًا أخرى تعبر بخنجرها الأسود لتذبحه بعنف، ليفارق الحياة ويسقط على الأرض كما تسقط الدماء من حنجرته بشكل مثير للشفقة.

سهير : (بصوت أنثوي نادر) آدم؟!

مشى الثعبان إلى أحمد وبركات وأخرج جهاز المحمول من جيب أحمد قبل أن يفك أغلال كل مـــنهم وأعطـــى الهاتف لبركات.

الثعبان : ١٢٢ اختراع جديد اسمه بوليس النجدة

ومشى الثعبان متجاهلاً الثلاثة وناداه أحمد رغم إعاقته وألمه

أحمد : يا أستاذ! يا آدم!

أخرج الثعبان خنجره مرة ثانية وأقترب من رقبة أحمد

الثعبان : اسمي الثعبان!

أحمد : هنعمل إيه في الـــ..

الثعبان : ١٢٥ اختراع تاني اسمه الإسعاف

ومشى الثعبان بعيدًا ليعود لما كان بصدد أن ينجزه

❖ ❖ ❖

الفصل السادس

الصحوة

كان الضابط أمشير يُشعل سيجارته البسيطة التي اعتاد أن يضعها على جانب شفتيه باسترخاء وكوميديا هادئة كعادته، عيناه هادئتان ببرود وتوحي بالثقة الزائدة بالنفس، لم ينتشر اللون الأبيض في شعره اللامع المصفف بعناية، كان جالسًا في مكتب سكرتيرة الدكتور وحيد، حتى دخلت السكرتيرة الأنيقة إلى المكتب.

السكرتيرة : الأستاذ وحيد بانتظارك، اتفضل

دخل أمشير إلى مكتب وحيد ليقف أمام مكتبه الخشبي الفخم وسط الغرفة الواسعة، وعيني أمشير لا تُعَبِّر عن شيء سوى هدوء نابع من غرور ربما يكون مضحكًا.

أمشير : أمشير، العقيد أمشير عسكر

ابتسم وحيد وهو يمد إليه صندوق ملئ بالسيجار

وحيد : تحت أمرك يا حضرة الضابط، إيييه، آسف، اسم حضرتك؟ سيجار؟

أمشير : شكرًا، لسه مولع سيجارة

وحيد : ممكن أعرف سبب تشريف سعادتك ليا النهاردة؟

أمشير : أنا مُكلف بالبحث والقبض على الثعبان

وحيد : آآه! تمام، أنا سمعت فعلاً إن أذكى ضابط في الشـــرطة مَسِّكُوه قضية الثعبان وعبدة الشـــيطان أو المـــؤذيين منهم، هو إنت؟! حضرتك شـــرفتني والله، وحضـــرتك وصلت لإيه؟

أمشير : وصلت لمكتبك

وحيد : عفوًا؟ إزاي؟

أمشير : من فترة قصيرة كنت في مارينا والثعبان كان هنـــاك، وإنت كنت فريسة على حد علمي، في إشـــاعات مـــن مصادري بتقول الخبر ده معروف في الصحافة!

وحيد : والسؤال هو ليه ما عرفتش تقبض عليه؟

أمشير : لأ السؤال هو ليه سابك تعيش؟ ليه ســـاب الحـــراس وحتى البنتين إللي معاك عايشين؟

وحيد : بس إنت عرفت

أمشير : وكون إنك تخبي الموضوع على الداخلية وما تـــبلغش فده، شي يثير الشكوك ودي شغلتي، الشك

وحيد : أولاً اكتشفت حاجتين، الثعبان مش قاتل، ولو قتل مـــا بيقتلش غير عبدة الشيطان، الشيء الثـــاني إنـــه مـــا طلبش حاجة مني، كان بس عايز يخـــوفني علشـــان يقولكم إنه بسهولة ممكن يهدد أمـــن كبـــارات البلـــد، بيحاول يوصَّل رسالة للداخلية والشرطة إن ما حـــدش يقدر يقبض عليه.

أمشير : (صمت قليلاً) الرصاص المنوم إللي ضرب بيه حراسك وبناتك، ما حدش بيستخدمه غير جهة واحـــدة بـــس، وفي حالات سرية جدًا.

وحيد : المخابرات تقصد

أمشير : ومش أي مخابرات، أنـــا نفســـي بشـــك إن الجهـــاز المصري عنده الإمكانيات دي، في الحالتين لو الأخ ده حصل على الأسلحة دي من الخارج، يبقى خطر، ولـــو حصل عليه من المخابرات المصرية، يبقى خطر علـــى الأمن العام.

وحيد : وليه ما يكونش شغال مع المخابرات؟

أمشير : بتدافع عنه ليه يا أستاذ وحيد؟ أنا بشك إنـــك مخبـــي حاجات

وحيد : أنا بفرض احتمالات عشان أصلاً الثعبان بيحاول يحمي الشارع، ده هدفه يعني، بالرغم إني يعني اتأذيت منه

أمشير : أو اتهددت

وحيد : بإيه؟

أمشير : بقانون الحريات الشخصية إللي حضرتك عملته! الدافع الوحيد إللي يخليه يتعدى عليك هو إنه يفرض عليـــك إلغاؤه.

وحيد : أنا لما عملت قانون الحريات الشخصية عملته عشـــان امنع التزمت الديني، وأدي فرصة للتفـــتح والانفتـــاح للشارع والمواطن المصري، عشان عقلنا متأخر ١٠٠

سنة عن الغرب، مش عشان عبدة الشيطان يطلعولي تاني يوم! وبرغم كدة أنا فعلاً بدرس قرار إلغاؤه، مش عشان تهديد الثعبان

أمشير : أمال عشان إيه؟

وحيد : عشان قانون الحريات زي ما سبِّب ظهور عبدة الشيطان، أدى لظهور الثعبان، وبعدين عيب عليك يا حضرة الضابط! يهددني بإيه يعني؟ هو الثعبان ماسك عليا زلة؟

أمشير : أنا ما قلتش حاجة، إنت إللي قلت!

وحيد : أي خدمات تانية؟

نظر إليه الضابط الكوميدي بعين توحي بالمكر المصطنع، وأطفأ سيجارته على المطفأة

أمشير : ده الكارت بتاعي لو أي حاجة حصلت أرجوك تبلغني.

وترك أمشير المكتب بهدوء تام وبرود مستفز

❖ ❖ ❖

في جو هادئ للغاية بالصحراء، داعبت رياح الليل ظلمته ولكنها عجزت عن تحريك الجلابيب السوداء التي ارتداها الكهنة، كان الرجل ذو المعالم المخيفة يقف أمام أمال وB-joint ليزوجهما ببعض وكان يقرأ بعض التراتيل التافهة بصوت مخيف والجميع واقفون أمامهم في مستوى أرضي منخفض نسبيًا، يستمعون بصمت شديد،

ويشاهدون ما يحدث على المسرح الصغير، في ظل هـذه الأجـواء كانت ليلى أيضًا صامته كليًا ودمعة تسيل من عينهـا، وهـي تـرى صديقة عمرها تسقط في فخ لا نجاة منه، لماذا لم يقابلها آدم لينقـذ الفتاة؟ لقد وعدها أن الثعبان قد يأتي لينقذها، ولكن لـم يحـدث أي شيء حتى الآن! همست ليلى لنفسها.

ليلى : فلتذهب إلى الجحيم يا قاتل الخطيئة

وامتدت يدا Joe ليضعها على ذراعها، وفوجئت ليلـى بوجوده وراؤها

Joe : تكرهينه لهذه الدرجة؟

ليلى : طبعًا، لقد قتل ٦٩ وربما يأتي ليفسد الحفلة

Joe : بعد كل محاولات هروبك تدافعين عنا؟

ليلى : لا يعني ذلك حبي لمن يمكن أن يذبحني

Joe : اطمئني، الجو آمن، مهما حدث لن يعرف الثعبان مكاننا

مشى رجل مخفية معالمه بنفس الجلباب الأسود الذي ارتداه الكهنـة وسط الجماهير الشبابة المثيرة للاشمئزاز، ورأسه مغطـاة، نـاظرًا لأسفل قدميه، مشي باتجاه طقوس الزواج المرعبـة مباشـرة إلـى المسرح، ثم توقف كأنه يعلم بالضبط إلى أين يذهب، ثم توقف فجـأة ليشاهد العرض كأي فرد آخر.

أتى أحد الكهنة حاملاً صينية عليها خنجر صغير ليسلمها إلى الكاهن الذي يزوج B-joint بأمال، وقبل أن يقطع الكاهن جلـد B-joint؛ جهَّز الرجل المتخفي صاروخًا صغيرًا من جهاز يُشبه البازوكا ورفعه

بسرعة قبل أن يلاحظ أحد حركته السريعة، وأطلق صاروخًا بصـــوت كسر الصمت، وانطلق الصاروخ الصغير تاركًا وراءه دخانًا يملأ المكان ليصيب الكاهن، ويطير مع جسمه بعيدًا حتى يصطدم بالحائط وينفجر بقسوة أشعلت نيران الرعب في نفوس الحاضرين، ليصرخ معظمهـــم ويهربوا بعيدًا، عدد قليل فقط عزم على البحث عن الفاعل ومنهمJoe وB-joint وPain وآخرون، حتى الجبان Giganti.

B-joint : أين هو؟

Joe : اختفى! اختفى

Giganti : ترك هذه العباءة، هل كان يرتديها؟

Joe : ارتداها من قبل، وأنتم يا أغبياء لم تتنبهوا لذلك أتت Pain من الخلف

Pain : أنت أيضًا غبي يا Joe

Joe : نعم؟!

Pain : (صرخت بغضب) ألم تسأل نفسك أين أمال؟ ومشى Joe إلى ليلـــى ليصـــفعها صـــفعة قويـــة ويصرخ بكل غضب الدنيا

Joe : لكِ يد في هذه المهزلة؟ هذه المرة أنا متأكد! عاهرة

ليلى : (صرخت) إن كان لي يدًّا في ذلك لما كنت هنا معك! انتبه الجميع إلى صوت المحرك المميـــز لســـيارة الثعبان وهي تبتعد

Pain : Joe، B-joint، أريد جثة هذا الحقير، لقد تحـــول

الموضوع إلى ثأر شخصي

❖ ❖ ❖

"Virus، الـ Mainframe إذا ادمَّر تفتكر إن ما يكونش لعبدة الشيطان أي إيد على السلطة"

سأل الثعبان Virus وهو جالس في سيارته خارج فندق Rafeal

Virus : ما أعتقدش هيكونوا مخبيين نسخ تانية لفيلم وحيد في حتة تانية

الثعبان : ليه؟

Max : Virus ما كانش بيكدب لما قال كده، الـ Mainframe مركز قوة هايل فيه تقريبًا كل حاجة

Virus : كل مصادر الأفلام الجنسية، حتى المخدرات الـ Server، 70% من وجودهم هو المكان ده، مؤمَّن جدًا، ما تنساش يا ريس إن الفندق ده فيه مكتب الراس الكبيرة الدكتور عزت

الثعبان : منافذ الهوا منين؟

Virus : خلاص هندخل؟ بص أنا ما أعرفش خطورة الوضع!

❖ ❖ ❖

جلس شاب مرتديًا ملابس شبابية بسيطة وكان على كرسي بسيط أمام ٦ شاشات كمبيوتر يُقبِّل سكرتيرة أنيقة كانت تعمل للدكتور عزت، وبينما كان الاثنان يُقيمان العلاقة الغرامية، فوجئ الشاب بصوت كسر صادر من آخر الممر المظلم في مقر الـ Mainframe..

السكرتيرة : إيه ده؟

الشاب : مش عارف!

أخرج الشاب النحيف مسدسًا من درجه ومشى برعب باتجاه الصوت حتى وصل إلى أخر الطرقة، فاستدار بكشَّافه ليرى وجه Virus المبتسم.

Virus : هاااااي!

وبدون مقدمات، انتزع الثعبان من ورائه المسدس والكشاف أيضًا، والتفت ليرى وجه الثعبان، وينتفض رعبًا

الشاب : كارول! جرس الإنذار بسرعة

ركضت كارول بسرعة لتضغط على الزر ولكن طلقة واحدة من الثعبان أخافتها، كان كاتم الصوت الذي وضعه الثعبان في مسدسه لا يُثير ضجة، ولكنه كسر إحدى شاشات الكمبيوتر، فابتعدت السكرتيرة لتجلس على الأرض مُتأهبة.

الثعبان : فين الـ Mainframe

الشاب : إزاي عرفت تدخل هنا؟

Virus : ما تردش على السؤال بسؤال

الثعبان : عايز الـــ Mainframe والأفلام
وأخرج خنجره المسمم ليضعه على رقبته

الشاب : أوكي! أوكي! بس بلاش ده! أنا بكره الوظيفة دي أصلاً، بص، الـــ Mainframe عليـــه معلومـــات مهمة جدًا، بس مش عن الناس إللي إنـــت عـــايز تقتلهم، أرجوك!

الثعبان : معلومات زي إيه؟

الشاب : عن ناس مهمين جدًا، رجال أعمال، سياسيين، كله!

الثعبان : يعني أي حد له مصلحة مع الدكتور عزت

الشاب : مش بالضبط، لحظة، إنت تعرف الدكتور عزت منين؟
(أخرج الثعبان خنجره مرة ثانية) خلاص! تعـــالوا معايا!

الثعبان : Virus هات البنت معاك

Virus : أوكيه
ذهب Virus إلى البنت ليأخذها وينضم إلى الثعبان والشاب، قائلاً لها:

Virus : الريس فاكرك بنت، ما يعرفش إنك مدام من زمان! اسمك إيه بقى؟!

الثعبان : Virus!

مشى الشاب ليقودهم إلى غرفة مظلمة، وأخرج ريموت كنتـــرول – جهاز تحكم عن بُعد - من جيبه ليضغط على زر صـــغير، وظهـــرت

أنوار النيون من السقف، كاشفة مساحة واسعة جـدًا مـن دواليـب إلكترونية عديدة، بها أنوار تُطفأ وتضاء.

الشاب : زي ما إنت شايف الMainframe آخر الطرقـة، وفي الطرقة الثانية..

مشى الشاب بهم إلى طرقة مجاورة تحتوي علـى أرفف تحمل أقراص مدمجة بأعـداد مهولـة مـن الأرض إلى السقف

الشاب : هي دي تقريبًا كل نسخ الأفلام إياها والذي منه

Virus : لأ لأ لأ (نظر Virus إلى الأرفف بدهشة وكـاد أن يبكي!) حرام حرام ندمر كل ده! لازم نخرج من هنا بفلمين على الأقل

الشاب : تدمر مين؟ الأفلام دي تجارة مربحة، دخَّلـت لينـا ملايين الدولارات

الثعبان : مصير كل شيء في الدنيا الفناء

أخرج الثعبان جهاز غريب من جيبه وألصقه بجدار إحدى الأرفف ومشى إلى الطرقة الأخرى

الشاب : إيه ده؟! لأ! لأ!

حاول الشاب نزع الجهاز عن الحائط، ولكن الثعبان رد مسرعًا دون أن يلتفت إليه..

الثعبان : حاول تشيله والمكان كله هيتحول إلى رماد

الشاب : إنت مجنون يا أستاذ إنت ما تعرفش الناس إللـي

بتتحداهم دول مين؟

الثعبان : ممكن أرجع في كلامي إذا عرفت معلومة واحدة

الشاب : إيه؟

الثعبان : الفيلم إللي اتهدد بيه الدكتور وحيد، نُسَـخُه كلهـا فين؟

الشاب : أكيد في الMainframe واسطوانة الBack-up

ذهب الشاب ليلتقط قرص مدمج من مكان ما مـن الأرفف، وأعطاه للثعبان

الثعبان : ممتاز

استمر الثعبان في وضع المتفجرات على الأرفـف وال Mainframe وصرخ الشاب بهلع:

الشاب : إنت اديتني كلمة شرف! إنت ميت ميت! فاكر نفسك مين يعني؟ خد إللي إنت عايزه وامشي، رُد عليـا، إنت إديتني كلمة شرف!

الثعبان : من إمتى عملتوا قيمة للشرف؟

وانتهى الثعبان من لصق المتفجرات عندما أنهي الشـاب كلماتـه، وأخرج مسدسًا ليصيب الشاب في رأسه مباشرة، صـرخت الفتـاة بهلع حاد، وركضت خارج الغرفة، همَّ Virus باللحاق بهـا ولكـن الثعبان استوقفه وأشار إلى فتحه في الحائط.

الثعبان : مخرج التهوية فاضل تلاتين ثانية.

Virus : الست شغلت الإنذار!

وانطلقت ضوضاء الإنذار في كل مكان، وبعد نصف دقيقة بالضبط، تحول المكان إلى كتلة نار متوهجة من الانفجار السافر، واندفع جميع سكان الفندق إلى الخارج برعب شديد للغاية بينما كان الثعبان يحدق في النار، داخل ظلمة الليل الذي أخفاه داخل سيارته الـ ١٢٨، هو وVirus.

Virus : ربنا يستر من رد الفعل!

الثعبان : هيكون رد الفعل أسوأ لما ندمر المبنى التاني

Virus : مبنى إيه؟

الثعبان : المبنى إللي عبده الشيطان فيه

Virus : كمال ماقلش ندمره! كمال قال الـ Mainfrant!

الثعبان : كمال مش التعبان يا Virus!

Virus : لأ! مش عشان Joe خبى ليلى في العمارة تدمرها كلها! المرة دي هتكون متهم حقيقي!

الثعبان : ماحدش اتهم عبدة الشيطان على الجرائم، هيتهموني عشان بنمنعها؟

Virus : هيتهموك عشان هتموت مش أقل من ميتين بني آدم!

الثعبان : الظاهر إنك نسيت، أنا ميت أصلاً

وانطلق الثعبان بسيارته تاركًا فوضى الحريق وعربات الإطفاء وراءه

❖ ❖ ❖

في صباح اليوم التالي، كان ثلاثة من رجال الأعمال المهمين جدًا جالسين أمام مكتب الدكتور عزت باسترخاء، وكان عزت محتقنًا لِما أصابه.

منير : أنا مش مستعد إني اسمع كلام تتهمنا فيه إننا كلنا غلطانين وإنت الضحية! إللي حصل ده مش ذنبنا

عزت : أمال ذنب مين؟

مراد : إنت إللي قاعد هنا على طول، وكل ده كان في نفس العمارة إللي أنت فيها، يعني إنت إللي كنت المفروض تاخد بالك!

عزت : هنعمل زي العرب، كل واحد هيحمل المسؤولية للتاني (أشعل عزت سيجارة مكملاً كلامه) شوفوا مين فيكو اللي ساكت دلوقتي وبيحاول يهرب منها.

نظر رجل الأعمال الثالث إلى عزت بعد صمته

بليغ : يعني إيه؟ أنا إللي جبت الثعبان هنا وقتلته يفجر المكان؟

عزت : إنت إللي سمحتله إنه يجي، إنت إللي عملت نظام أمني فاشل للمكان، وبما إنك مهندس إليكترونيات كان المفروض تحصن الـ Mainframe بنظام ملهوش مثيل، نظام حتى مش في مبنى الرياسة!

بليغ : قصر الرياسة مش مؤمن زى الـ Mainframe

عزت : تفسر إللي حصل ده بإيه؟!

بليغ : أي نظام أمني في الدنيا قابل للاختراق، أي Hacker عنده كفائة عالية يقدر يعطل كاميرات المراقبة، وأجهزة الليزر و..

عزت : الكاميرات والليزر ماكنوش في فتحات التهوية يا بليغ

بليغ : كون إنه يعرف أماكن فتحات التهوية يبقى الخلل مش من عندي، الخلل من حد إداهم خريطة المبنى وتصميمه من جوة!

عزت : بالضبط!

وأخرج عزت مسدسًا من درجه بأقصى سرعة وأطلق رصاصة لتصيب رأس منير مباشرة وهو جالس على كرسيه، وفُزِعَ الاثنان مرة واحدة ليقفوا فجأة، ولكن إشهار حراس عزت داخل مكتبه أسلحتهم؛ أرغمهم على الجلوس.

عزت : منير! المهندس والمقاول إللي اتسربت من مكتبته الخرايط، شخص مايقدرش يستمر معانا، زعلان ليه يا مراد؟ مش كان حلمك تاخد شركة منير ابن عمك وتتجوز مراته؟

مراد : أحلامي مش إني أتجوز مراته!

عزت : وتفسر بإيه علاقتك بيها لحد دلوقتي؟ (نظر بليغ إليه باستغراب) منير كان في كل الحالات زي قِلّته، والمرحلة الجاية ماتتحملش أخطاء

هدوء عزت المخيف سيطر على المكان لدقائق، وزادت الدماء التي تناثرت من رأس منير الاحتقان ورغبة الاثنان في التقيوء، ولكن عزت تعمد فرض السيطرة هذه المرة، وكما قال لا مجال للخطأ ثانية.

❖ ❖ ❖

كانت جميع محطات التلفاز تبث أخبار سعيدة عن صحوة الشرطة بعد يومان بالضبط، وكان سيد الغلبان يشاهد المذيعة منى في إحدى القنوات تتحدث، مع عرض مَشَاهِد مُصَوَّرة لرجال الشرطة وهم يقودون عبدة الشياطين إلى سيارات "البوكس"، ويتم القبض عليهم.

"انفجار في فندق خمس نجوم، ثم يومان من عمل رجال الشرطة الجاد في القبض على عبدة الشيطان والإلقاء بهم في السجون، لماذا هذه الصحوة المفاجئة؟! هل غارت وزارة الداخلية من الثعبان؟ أم هناك سر ما؟ لأول مرة، يختبئ عبدة الشيطان بعيدًا عن الأماكن العامة خوفًا من السجن، لأول مرة، تختفي هذه الظاهرة، بعد إلغاء قانون الحريات الشخصية في البرلمان"، كان الدكتور وحيد أيضًا يشاهد البرنامج في مكتبه، ويبتسم مبتهجًا، قبل أن تصله رسالة إلى هاتفه الجوال، تقول "الآن، أصبحنا متعادلين، الثعبان"، وكان أمشير بمكتبه.

أمشير : من مين الرسالة دي يا دكتور؟

وحيد : صديق قديم، عزيز عليا جدًا..

❖ ❖ ❖

أطفأ سيد غلبان سيجارته بعد أن سمع الأخبار في مكتب فخم لأحد المسئولين بوزارة الداخلية، وتحدث إليه الرجل بجدية..

المسئول : أنا كلفتك بمهمة صعبة وعملتلك تفويض بسلطاتي أتمنى إنك ماتستغلش سلطاتك خارج نطاق هدفنا، الشغل في المباحث عايز انضباط تام

سيد : مفهوم معاليك

المسئول : ما قلتليش، هتجيب الثعبان إزاي؟

سيد : مش عارف لسة، بس قدامي مش أقل من يومين.

المسئول : ياااه! إيه الثقة دي؟ إنت اترقيت عشان قلت إنك ممكن تسلم الثعبان للعدالة، مش عشان إنت، مغرور!

سيد : الموضوع مش غرور، أنا أعرف الثعبان يبقى مين! أنا بس عايز أمسكه متلبس.

الفصل السابع

التوبة

كانت ليلى في شقتها القديمة تتشاجر مع Joe على الهاتف الجـوال، تتحدث بعصبية وقلق وهي تمشي يمينًا ويسارًا..

ليلى : Joe! Joe! أنا لا أقبل هذا التهديد، أنا لم أهرب أنا هنا في بيتي القديم، ولست على استعداد أن أبقى في هـذا المبنى المنحوس حيث تريدني أن أقيم فيه، حتى أجـد رجال الشرطة يلقونني في السـجن أوكـي؟!، حسـنًا، حسنًا، ولكني لن أخرج مـن البيـت مطلقًـا، إذا أردت رؤيتي فتعال إلى هنا!، وأرجوك، أرجوك، أريد بعـض الـ Venomوإلا سوف أنتحر، حسنا.

بعد أن أنهت المكالمة، سمعت جرس الباب، نظرت من خلال العين السحرية لتجد آدم بالخارج، لم تتردد كثيرًا، فتحت البـاب ونظـرت إليه بعين الخجل.

آدم : الباب مقفول المرة دي!

ليلى : البوليس في كل مكان

آدم : ده سبب أدعى إنك تفتحيه

ليلى : أنا ماقدرشي أستحمل هزار دلوقتي (دخلت ليلى ومشي وراءها بهدوء، وبشكل تلقائي تكلمت ليلى دون الالتفات إليه) نسيت أشكرك على إنقاذ أمال، وفي نفس الوقت مش عارفة أعاتبك على القلق إللي سببتهولي!

آدم : وتعاتبيني على كدة ليه؟

ليلى : في إشاعة بتقول إنك تعرف الثعبان شخصيًا، ده إن ماكنتش هو نفسه!

آدم : وليه ماكنش الثعبان نفسه؟

ليلى : إنت كنت مُدخن شره، وصحتك في الأرض، مش ممكن كل المهارات دي عندك

آدم : فعلاً، أعرف الثعبان شخصيًا

ليلى : على كدة، الثعبان ودا أمال فين؟

آدم في مكان أمين

نظرت إليه ليلى بقلق وخوف

ليلى : يعني مش في السجن؟

آدم : لأ، في المصحة، بتتعالج من الإدمان

سقطت السيجارة من يدها فجأة، وانهارت ليلى الجميلة من البكاء، وهي تسقط أرضًا، استندت على دولاب عتيق، قبل أن ينزل إليها آدم بجسده ليُزيح شعرها الأسود عن عيناها ويحتوي وجهها بيده..

آدم : ليه العياط دلوقتي؟

ليلى : ما كنتش عارفة إن ده هيكون مصيرنا!

آدم : ما تخافيش، كل شيء ممكن يتصلح

ليلى : إللي انكسر ما بيتصلحش يا آدم، حلم الجواز والعيلة والحياة العادية أصبح مستحيل، أنا بعت وببيع نفسي لمليون بني آدم كل يوم، مين هيرضى بواحدة زيي، غير Joe؟

آدم : أنا أرضى بيكي عمري في حياتي ما رفضتك إنت إللي دايما رفضتيني

حدقت ليلى في وجه آدم بصمت كثيرًا

ليلى : ما تعطفش عليا يا آدم

آدم : مش عطف، أنا لسه بحبك!

ليلى : بتحبني في الظروف دي؟

آدم : الظروف دي هتتغير، هتتعالجي من الـ Venom وهترجعي زي زمان، وJoe وكل إللي معاه حيتشنقوا المسألة مسألة أيام قليلة!

ليلى : إزاى؟ إزاى بس؟ إنت عايز تقتلني!

آدم : في ميات في السجون بيعانوا من حالتك وبيتعالجوا، إهربي.. اقعدي معايا في البيت، الجن الأزرق مش هيعرف طريقك

❖ ❖ ❖

خطت ليلى بخطوات بطيئة بعد آدم وهي تلتفت لمنظر القصر من

الداخل، كانت الجميلة تحمل حقيبة بسيطة معها، وكانت عقارب الساعة تُشير إلى الثانية صباحًا عندما ركضت ساندرا بفرح إلى آدم العائد من الخارج، لتحتضنه بشدة

ساندرا : آدم! وحشتني موووت

آدم : عايز أعرفك بليلى.. هتكون زي ماما بالضبط وهتقعد معانا على طول

حدقت ليلى في معالم ساندرا وهي تتحدث إلى آدم، وأصابها نوع من الحيرة ومشاعر وأحاسيس غريبة كادت أن تؤدي للبكاء، واستغربت ساندرا لنظرات ليلى

آدم : سلِّمي عليها!

ذهبت ساندرا لتسلم بيدها، ولكن ليلى اندفعت بمشاعرها الجياشة نحو ليلى لتنزل إلى الأرض وتحتضنها بشدة غريبة الشكل، إلى درجة أن آدم قد تعجب بشدة لبكاء ليلى المفاجئ! وبعد ساعة، كانت ليلى قد انتهت من تهيئة غرفتها، ودخل آدم ليطمئن

آدم : مرتاحة؟!

ليلى : لأ

وسقطت فجأة على الكرسي وركض آدم إليها

آدم : مالك يا حبيبتي؟

ليلى : عايزة حاجة بدرة *Venom*

أخرج آدم سيجارة من علبة معدنية ووضعها على فم ليلى الصغير وأشعلها

آدم : علبة السجاير جنبك دلوقتي وطول الليل

ليلى : تعبانة أوي، هنروح للدكتور بكرة؟

آدم : أممم

ليلى : آدم العلاج حيكون مؤلم؟

آدم : لأ

ليلى : (بدأت تبكي) بخاف من الألم أوي أوي أوي!

وبدأ جسمها كله يرتعش بشكل لا إرادي، وبكاؤها يُسقط الدموع وسيجارتها ترفع الدخان إلى عيناها الزرقاوتان، سارع آدم في احتضانها ليوقف رعشتها وربت بيده على ظهرها كي تهدأ

آدم : بكرة عايزك تكوني أجمل بنت في مصر، أنا اشتريتلك صبغة شعر صفراء عشان ترجَّعي شعرك للونه الطبيعي, نامي يا ليلى، مهما هتتألمي دايمًا حطي في بالك إن أجمل أيام مستنياكِ

لم يدرك آدم أن ليلى قد نامت منذ أن احتضنها وطبطب عليها، لأول مرة تشعر هذه الفتاة بما نسميه في عالمنا الاطمئنان! أطفأ آدم نور الأباجورة الخافت وألقى جسد ليلى على السرير.

❖ ❖ ❖

شاهد شريف نور غرفة ليلى ينطفئ من الخارج، وكان ساعتها يتحدث مع كمال عبر سماعة لاسلكية صغير على أذنه.

شريف : الظاهر إنها هتبيِّت معاه كام يوم

كمال : مش عارف إذا كانت البنت دي دافع لآدم، ولا هتخليه يسيب المهمة!

شريف : تفتكر آدم ممكن يلغى من باله فكرة الانتقام؟ مستحيل ***Joe*** وجماعته لسة أحرار

كمال : آدم ممكن يستسلم

شريف : ليه؟

كمال : ليلى دي مش هتتعالج

شريف : ليه بردو؟

كمال : بكرة تعرف.. شدد المراقبة على الثعبان بس سيبوه يتصرف زي ما هو عايز

كمال صاحب الحس الأمني المُحنك، له أسبابه في اتخاذ قراراته، تسأل شريف لماذا كمال ترك آدم يكمل علاقته مع ليلى؟! لا تفسير أمني لذلك! تصرفات غريبة لكمال جعلت الرجل يشك آلاف المرات! لا تفسير سوى أن كمال يعطف على آدم الذي حُرم من الحب، فبالفعل كمال كان مستوعبًا لشخصية آدم بشكل فظيع وكأنه عاش معه طوال عمره.

❖ ❖ ❖

كانت أضواء القصر الخافتة من الداخل تكشف ظلال كل من Joe وB-Joint وGiganti، ولم يحس أحد بدخولهم إلى قصر آدم، وكر الثعبان، نظر كل واحد إلى قصر آدم وأصدروا إشارات لاتجاه غرف النوم، هموا جميعًا بالصمت وهم يتسلقوا السلالم، ويُجَهِّزوا أسلحتهم الخفيفة.

كان صوت الباب وهو يفتح يُدخل جليد العالم إلى حلق ساندرا التي ظلت مستيقظة على سريرها في الظلام، ومن كثرة الرعب تجمد لسانها وعمودها الفقري كلما فتح أكثر، وأكثر، ليكشف وجوه رجلان يرتديان أقنعة بهلوانات، B-Joint, Giganti، أحسا أن الفتاة تتحرك، فهجما على ساندرا مرة واحدة قبل أن تصرخ الفتاة بكل ما ملكت من قوة.

استيقظت ليلى من نومها العميق بفزع، والفزعة الكبرى عندما رأت ملكة العذاب، Pain Fehish أمامها واقفة على السرير، تحمل خنجرًا كبير، ودون مقدمات، غرزته بيديها الاثنتان في معدة ليلى، التي اتسعت عيناها على آخرهما قبل خروج الدماء من فمها، وضحكات Pain المجنونة.

توقف صراخ ساندرا بعد أن استيقظ آدم في غرفته، وبعد أن فتح عيناه رأى وجه رجل بالمقلوب مرتديًا قناع على شكل جمجمة، لم يسمح Joe بنهوض جسد آدم، ظل Joe يمسك برقبة آدم الذي حارب مقاومًا قوة يداه، وهو يسمع صراخ بسيط مكتوم لساندرا، بعد أن

وضع B-Joint الشريط اللاصق على فمها، وربط يديها، وصب Giganti برميل البنزين على جسدها، أما B-Joint فقد أشعل قداحته ورماها على جسد ساندرا لتشتعل النار، ويصل نورها إلى غرفة آدم عبر بابها المفتوح.

لم يقوى آدم على Joe، لحظة مدمرة جدًا أن يجد آدم نفسه ضعيف جدًا، جدًا إلى هذا الحد، حتى شد Joe شعر آدم وكشف حنجرته، وبخنجر شبيه بخنجر الثعبان، ذبح Joe آدم بكل وحشية، كي تتطاير دمائه كالنافورة في ظلال الليل، وليلى نهاية أتعس ما تكون، حتى استيقظ آدم من كل هذا الحلم المرعب، مفزوعًا، وحسس بيده على رقبته ليجد أنها مازالت سليمة، وأن الشمس قد دخلت من شبابيك غرفته الواسعة، دخلت أصوات ضحكات ليلى وساندرا من الخارج.

خرج آدم بهيأته الفوضوية ليطمئن على الفتاتان فوجدهما على الأرض يلعبان كالأطفال ويضحكان وكأنهما في قمة السعادة، ولكن المفاجأة أن آدم قد اكتشف أن ليلى شعرها أشقر كما كان في الماضي والتفتت إليه بابتسامة جميلة افتقدها منذ زمن بعيد.

❖ ❖ ❖

كان آدم في قمة القلق وهو ينتظر في مكتب الدكتور عزيز، في المستشفى، وبعد طول انتظار، دخل الدكتور الوسيم بالبلطو الأبيض إلى مكتبه ليجلس أمام آدم بحزن.

عزيز : صعب

آدم : إيه إللي صعب؟ إنت دكتور

عزيز : من يوم ما الوزارة كلفتني بعلاج حالات إدمان الـ ***Venom*** والموضوع بيتعقد في أعداد مهولة في السجون مش عارفين نوصل معاهم لحل

آدم : لكل مرض دواء

عزيز : ده مش أي مخدر يا أستاذ آدم، أنا اكتشفت إن المخدر ده مُصمم خصيصًا عشان يدمر الجهاز العصبي كليًا! ده بيحتوى على رصاص بنسبة لا تقل عن نص في مية!، والرصاص لما بيدخل الجسم بيستقر في مخ وما بيطلعش أبدًا، ظاهرة في الطب اسمها ***Bioacculation*** عشان كدة إن ما ماتش المدمن بعد ثلاث سنين بيصاب بتخلف عقلي مستمر

استاء وجه آدم بشكل غريب

آدم : والحالة بتاعتي أنهي واحدة فيهم؟

الدكتور : هيا البنت دي عزيزة عليك أوي؟

آدم : البنت دي هي كل حاجة عشت وهعيش علشانها

الدكتور : ما تحفرش لنفسك قبرين يا أستاذ آدم

آدم : يعنى إيه

الدكتور : هكون بضحك عليك لو قلتلك إنها هتعيش أكتر من شهرين أو ثلاثة بالكتير حتى لو بطلت إدمان!

استاء آدم إلى أقصى درجة ممكنة واسودت الدنيا

كلها في وجهه وكأنه خسر كل شيء بالفعل، اقتحمت الممرضة مكتب الدكتور بذعر هائل وهي تصرخ

الممرضة : دكتور البنت بتموِّت نفسها!

ركض آدم والدكتور إلى غرفة مظلمة يطل زجاجها المحكم إلى غرفة واسعة مضيئة، حيث كانت ليلى مُصابة بنوبة جنون وصراخ حاد وبعد أن شاهد آدم وطبيبه الحالة من خلال الزجاج ظلوا في أماكنهم ليشاهدوا مدى مقاومة ليلى للعذاب

ليلى : هموت نفسي! هموت نفسي! جرعة واحدة وخلاص! جرعة واحدة أرجوكم حرام!

وفي الغرفة المظلمة

الدكتور : المفروض تقاوم لحد ما يغمى عليها

حدق آدم وهو منهار كليًا من الداخل

ليلى : ردوا عليا سايبني لوحدي هنا ليه؟!

كررت ليلى كلماتها بصراخ يزداد مرة تلو الأخرى حتى أصابها السعال وبشكل تلقائي أخرجت ليلى حرف حاد من السلسلة الفضية التي ارتدتها وبدأت تخدش الوريد

الدكتور : سالي! البنت معاها سلاح!

ركضت جميع الممرضات إلى غرفة ليلى التي ظلت تحاول الانتحار بالمشرط ولكن حمدًا لله أن الوقت لم يكن كافي لفعلة ليلى، انقض الجميع عليها وهي

تحاول التحدث إلى من هو وراء الزجـــاج العـــاكس بصياح بشع للغاية

ليلى : آدم! آآآدم! ما تعملش فيَّ كدة! ما تعملش فيَّ كده يا آدم حرام عليك!

وظلت المقاومة والبكاء كثيرًا حتى دُمر آدم كليًـــا.. وهو يرى حبيبته تضرب الزجاج بقوة غضـــبًا مـــن الألم

❖ ❖ ❖

الساعة الثالثة والنصف صباحًا، لم تكن الشمس قد ظهرت، مشى آدم في شوارع العباسية كالطفل الضائع، يبحث عن مكان ليرتاح فيه بدلاً من البحث عن الحل، لأنه كان متيقن أن الحل مستحيل، وبين البيوت العتيقة والأزقة خرج إلى الشارع العمومي لينكشف أمامـــه مســـجد كبير، وتوقف أمامه لفترة محدثًا نفسه قليلاً، لم يدخل آدم مسجدًا في حياته كلها، فبادر بالدخول، ولكنه لم يخلع حذائه وهـــو يخطـــو أول خطوة على السجاد، واستوقفه فراش المسجد.

الفراش : يا أستاذ! رايح فين؟

آدم : إيه؟

الفراش : الجزمة!

آدم : مالها؟

الفراش : إنت مسلم يا ابني إنت؟

آدم : مش عارف!

الفراش : لا حول ولا قوة إلا بالله! إنت يا شارب حاجة يا جاي غلط! لو مبلبع حاجة يا بنى امشي امشي أرجوك ده بيت ربنا!

آدم : أنا أول مرة أخش جامع

الفراش : يعني طاهر؟

أومأ آدم ببطء وهو في قمة الخجل

الفراش : الناس لما بتدخل جوامع بتقلع الجزمة!

❖ ❖ ❖

في نفس الوقت كانت ليلى في غرفة مظلمة تبكي كالطفلة بعد هدوئها نسبيًا، تُحدق في السقف وكأنها أيضًا ترغب في الصلاة، والتوبة، والندم على كل ما فات، وكان الدكتور بالخارج يكلم الممرضة..

الدكتور : خدوا بالكوا منها بعد النوبة والنومة الطويلة دي جسمها مش هيطلب مخدر تاني.. وعشان كده هتتعب أوي وحركتها هتكون قليلة، عايز متابعة واهتمام كويس بصحتها

❖ ❖ ❖

تاه آدم لفترة بعد أن دخل إلى مساحة المسجد الواسع، يمشى بين عمدانه حتى استقر في مكان بقرب عمود عريض، لاحظ آدم أن المسجد كان خاليًا تمامًا من المُصليين، ما عدا شيخ مُسِن يُصلي وحده مكان

الإمام، كان الجو الهادئ الإيماني غريب جدًا لآدم الذي كان يسفك الدماء، ولكنه كان مريح ومطمئن أيضًا.

كانت رغبة آدم الحقيقية في الصلاة هي الراحة النفسية من العذاب، ورغب في الكلام مع شخص مؤمن كالشيخ الذي يُصلي، انتظر آدم الشيخ حتى أنهى صلاته ومشى إليه حتى اقترب منه، نظر الشيخ إلى الأعلى ليرى وجه آدم وهو يسبح.

الشيخ : بسم الله ما شاء الله، الله أكبر، شاب في سنك جاي المسجد قبل الفجر بساعة! ربنا يحميك يا بني!

آدم : ربنا بيكرهني بينتقم مني

الشيخ : يا ساتر اقعد يا بني، اقعد كدة واحكيلي!

وبعد أن جلس آدم أمام الشيخ نظر الكهل إليه بعين الخبرة والسن الناضج

الشيخ : شكلك مليان ومش عارف تفضفض لمين، ربنا خلقنا عشان نقف جنب بعض

آدم : ربنا خلق الناس كلهم من طين، وخلقني أنا بس من الظلمة!

الشيخ : استغفر الله! إيه الكلام ده يا بني؟

آدم : دي الحقيقة يا عم الشيخ

الشيخ : الحقيقة دي مش هتعرفها إلا لما النور يخش قلبك، هتعرفها إزاي وإنت مخلوق من ظلمة؟ إيه حكايتك يا بني؟

صمت آدم قليلاً وهو يبتلع ريقه وينظر إلى الأرض

آدم : سمعت عن عبدة الشيطان؟

الشيخ : أكيد! بس إنت تقصد مين فيهم؟

آدم : هو في غيرهم يا عم الشيخ؟ الناس إللي بتعمل كل شيء قذر في البلد!

الشيخ : لا مش دول بس! عبدة الشيطان كانوا أيام موسى وفرعون.. ونوح وعيسى ويحيى وسليمان والنبي محمد عليه ألف سلام وصلاة وأيام الإنجليز والفرنسيين والهكسوس في كل زمن وفي كل مكان موجودين

آدم : بردوا ما فهمتنيش! أقصد بتوع الزمن ده!

الشيخ : وإيه الفرق؟ إللي بيعبد الشيطان هو إللي بيعبد أي شيء غير ربنا سبحانه وتعالى، المنافق بيعبد الشيطان القاتل الفاسد الحرامي، الزاني الظالم المفتري الجاحد الطمعان في الشهرة والمال والقوة والسلطة وما يتقيش ربنا بيعبد الشيطان، إللي يتاجر في أرواح البشر إللي يحكم بظلم إللي يجوَّع الناس ويدوس عليهم إللي ينكر نعمة ربنا عابد الشيطان!

آدم : أنا بتكلم على إللي بيدوسوا على المصحف ويقلبوا الصليب

الشيخ : بردوا ما فرقتش! الشر هيفضل موجود بكل أشكاله، ناس كتيرة محيرة نفسها في سؤال: "إحنا ليه موجودين؟" ما عرفوش إن الحياة تحدي بين حزب الله

وحزب الشيطان، وإنت شكلك يا بني من أهل الخير!

آدم : والثعبان من أهل الخير؟

نظر إليه الشيخ بنظرة أوحت بأنه فهم كل شيء عن تاريخ آدم وشخصيته، وبرغم من ذكائه أخفى الشيخ وجه الذكاء والعلم ليكمل كلامه ببساطه

الشيخ : آآه! الثعبان.. في كل زمان ساده الضلال كان بيظهر نبي وأخيرًا ظهر لنا خاتم الأنبياء وبعد كدة كان في أي زمن يسوده الظلم يظهر بطل يُنقذ الناس ويقضي عليه سيبك من إن الناس بتحب الثعبان

اقترب الشيخ بوجهه أكثر إلى وجه آدم وهمس

الشيخ : لو كان الثعبان مؤمن برسالة حق وعارف إنه في طريق صح لينتصر على الطاغوت ويعمل في سبيل الله يبقى من حزب الحق، أما إذا كان بيسفك دماء شباب في منهم أمل في الهداية، وبيعمل من أجل الاسم والشهرة فلا رجاء منه! وبيني وبينك الثعبان مهما عمل ده فرد واحد ودول ناس ظالمة، والضلال لذيذ

"إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"

نظر آدم للأرض مرة أخرى وسكت

الشيخ : كل ده وبردو ماعرفتش إيه حكايتك

آدم : إنسان عزيز عليا وهيبعد عني

بدأت دموع آدم تخونه وتهرب إلى الخارج

الشيخ : عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك

مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي بـــه، واعلـــم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس، كله فاني إلا وجهه! وافتكر "إنك لن تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء!"

آدم : بس ده عايز يتوب يا عم الشيخ! يموت ليه؟

الشيخ : عمره كدة! ده اختبار بلاء، أهل الخير دايمًا في بلاء

آدم : ده مش عدل!

الشيخ : العدل ما بيتفصلش على مزاجك! ده ربنا يا ابنـــي لـــه حكمته وبيده كل شيء، خليك مؤمن! كل شـــيء فـــي صالح الإنسان والنبي قالك "لو علمتم الغيب لاختـــرتم الواقع!" الفجر فاضله شوية ويدن قوم اتوضى وصلى ركعتين لله!

آدم : (احتقن آدم بشدة) ما بعرفش أصلي

الشيخ : إيه؟ ليه؟ هوا أبوك وأمك ما كانوش بيعلموك؟

تجنب آدم النظر إليه وهو ينطق كلامه بصعوبة

آدم : أبويا وأمي ماتوا

وانهار آدم من البكاء فجأة وكأنه اشتاق للبكـــاء منـــذ زمن طويل وطبطب على ظهره الشيخ ليهدئه

الشيخ : لا حول ولا قوة إلا بالله! أعلمك يا ابني، أعلمك

❖ ❖ ❖

"اختفى! بعد الانفجار في فندقك، ومأموريات القبض على الـ Satanists، اختفى!" هذا ما قاله الضابط أمشير الذي اعتاد وضع السيجارة البسيطة على يسار فمه الهادئ، وهو يُحدث الدكتور عزت الذي جلس ببرود في مكتبه الفخم الواسع، ونطق عزت من خلال ظله في ظلمة المكتب، ودخان سيجاره يرتفع إلى الأعلى.

عزت : الظاهر إنه اعتزل

أمشير : اعتزل إيه بالضبط؟

عزت : شغل الأكروبات والبطولة زى ما أنت قلت، لما مأموريات البوليس اشتغلت؛ مهمته أكيد انتهت

أمشير : ها، وليه يدمر أجهزة الكمبيوتر بتاعتك بالذات؟

عزت : حضرة الضابط أعدائي كتار، أنا رجل أعمال ضخمة، نفوذي في العالم كله، أي حد هدفه يئذيني ممكن يعمل كدة، وينسب القضية لأمور محلية تافهة زى قصة الثعبان عشان يشكك السلطات فيا.

أمشير : يعني بتنكر تمامًا إن الثعبان يكون له علاقة بالتعدي عليك!

عزت : أنا ماليش دخل بالقضية دي عشان أتورط فيها من الأساس

أمشير : دكتور عزت في إشاعة بتقول إن الـ ***Mainframe*** كان مركز معلومات للـ ***Satanists*** ووكر لنشاطات أخرى.

عزت : إنت قلتها بنفسك إشاعة

أمشير : مصدرها الثعبان شخصيًا

عزت : (ضحك عزت ضحكة خفيفة) الثعبان اتصل بيك؟

أمشير : حاجة زي كدة

عزت : الثعبان بالرغم إنه بطل شعبي لكن خارج عن القانون، أنا بحبه بس الفرق بيني وبينه إني دايمًا مع القانون، والقانون بيحتم عليك تلاقي دليل ضدي، ناس كتير من الشعب والإعلام بيكرهوني لأسباب تتعلق بثرائي، من السهل توجه أصابع اتهام لشخص زيي مواطن شريف، أما الثعبان ضحى بشباب كان ممكن فيهم الأمل إنهم ينصلحوا

أمشير : ورجل الأعمال المهندس صديقك إللي المحضر بيقول إنه دخل الفندق وما خرجش

عزت : المحضر ما شفتوش ولا إيه حضرة الضابط؟

أمشير : كنت مستنيك تقولي حضرتك شخصيًا

عزت : خيانة زوجية، أتجوز ست على التانية ومراته الثانية ضربت عليه رصاص لما شافته مع "واحدة من إياهم" في أوضة في الفندق

أمشير : بس مراته التانية مالهاش أثر! وماتعرفهاش!

عزت : عشان كان متجوزها عرفي وأكيد هربت بره البلد

أمشير : والبنت إللي كانت معاه؟

عزت : ده فندق سياحي بنات العالم كله بتيجي هنا، بعدين يا حضرة الضابط اقرا المحضر بدل ما تحقق معايا! ولا تحب أجيبلك المحضر لحد هنا؟ صدقني عندي إللي يجيبلك قسم الشرطة كله هنا، حتى أمن الدولة نفسه لو حبيت!

أطفأ أمشير سيجارته على مطفأة عزت الكريستال على مكتبه.. ونظر لعزت بمكر ودهاء

أمشير : لا.. وعلى إيه؟ أنا هروح هناك أوفر لي.

❖ ❖ ❖

"أنا مجرد وسيط"، قال شريف في غرفة العمليات القديمة لمؤسسة كمال السرية، وكان **Virus** ولطفي في ظلمة الغرفة التي اكتظت بالأجهزة الإلكترونية.

آدم : وسيط! وكمال كان بيقابلني شخصيًا في الأول؟

لطفي : عشان يحسسك بجدية الموضوع وإن ده مش لعب عيال

آدم : ودلوقتي الموضوع جد، أنا عايز أنسحب

Virus : ***Joe*** وجماعته والدكتور عزت لسة موجودين، على الأقل مش في إيد العدالة

آدم : البوليس هيوصل لكل الـ ***Satumish***، وأنا بلَّغت الشرطة عن تورط الدكتور عزت

شريف : إيه؟! مين سمحلك تعمل كدة؟! إنت شغال مع نفسك ولا

إيه؟!

بلغ شريف قمة العصبية وترك الاجتماع وذهب لطفي ورآه ليهدئه

Virus : **ما كُناش متصورين إن حبك للبنت دي هينسيك تارك القديم**

آدم : **إنت ما تعرفش حاجة عن التار، التار تاري والقرار أنا أخذته**

Virus : **إنت إللي ما تعرفش حاجة عن التار! الـ *Satanists* أذوني بالضبط زي ما أذوك.**

آدم : **إمتى؟**

Virus : **من سبع سنين قبل ما تنهار الطبقة الوسطى تمامًا كانت عيلتنا نزلت للفقر، أبويا وأمي ماتوا من الجوع عشان يأكلونا، الاثنين كان عندهم سرطان الدم وماتوا وهما لسه فاكرين إن من حقهم يتعالجوا ببلاش في البلد دي، ما كانش قدامي غير إني ألاقي أي شغل عشان أصرف على إخواتي الصغيرين في المدرسة، سبت الجامعة وبقيت أحسن *Hacker* في مصر، الظروف عرفتني بـ*Joe* إللي قاللي هيطلعلي بمصلحة جامدة، ربع مليون مقابل شبكة معلومات على النت ومنظومة إلكترونية يقدروا من خلالها يخترقوا أي جهاز إلكتروني في الوطن العربي, وابتكرت طرق**

لسرقة الباسوورد لأرقام الحساب في البنوك، والجـوع أشرس من الشجاعة، قبلت العـرض وفضـلت طـول عمري هربان بعدما خدت الفلوس، ما عرفتش أكفَّر عن ذنبي إزاي لما عرفت إني خدمت عبدة الشيطان سرقت حساب ***Joe*** الإلكتروني وبعدها قدروا يوصلوا لعيلتـي كلها، وقتلوا أخويا سـامر (بكـى بشـدة) وإخـواتي الصغيرين، ثروة ***Joe*** هي إللي عملت كل إللي حوليك ده، المؤسسة كلها!

آدم : لو كنت تعرف إن أخوك فاضله شهرين ويموت كنـت قضيتهم معاه قبل ما يسيبك! ***Virus*** عايز أقابل كمال.

❖ ❖ ❖

في جو ممطر من فصل الشتاء، كان الليل مكان آمن وسـط شـارع أعزل من السكان، كي يتحدث كمال وآدم بهدوء، وقف كمال أمام آدم بهيأته المهيبة وملابس الشتاء الأنيقة، وكذلك آدم المشتت.

كمال : مهمتك قرَّبت تخلص، ما تخليش العواطف تحكمك!

آدم : مهمتي خلصت

كمال : مش إنت إللي تقرر

أشعل آدم سيجارة بصعوبة في المطر

كمال : رجعت للسجاير تاني؟

نظر آدم بقلق للرجل الثابت وطرح أسئلته

آدم : عملت إيه في موضوع سهير إللي عِرفت إني لسه عايش

كمال : أنا في جهاز أمني يا آدم، ولما أقولك إن الخبر مش هينتشر تصدق كلامي، ما تقلقش سهير كل الناس عارفة إنها غشيمة ومجنونة صحافة صفرا

آدم : فين المصل يا كمال؟ المصل إللي وهمتني إنه هينقذ الناس من الإدمان

كمال : مفيش مصل، الناس دي ما تستحقش مصل وإنت عارف كويس، ده رصاص تخلف عقلي أكيد

صرخ آدم في وجه كمال

آدم : ما قلتليش الكلام ده من الأول ليييه؟!

كمال : ما حدش ضربها على إيدها عشان تُفجر وتسيبك يابني آدم!

ضعف آدم وهو يشير بسبابته في وجه كمال

آدم : إنت ضحكت عليا! ضحكت عليا!

كمال : كان دافع عشان تكمِّل المهمة

آدم : وأديني أنجزتها! عايز اسم جديد بطاقة جديدة كلية عشان أكمِّل تعليمي زي ما موتني إحييني تاني! أفتكر من حقي!

كمال : طبعًا من حقك بس لازم تكمِّل للآخر

آدم : مش مكمِّل زهقت! زهقت من منظر الدم زهقت من الموت ما بقيتش مستحمل الهرب كل ده!

كمال : أنا بأمنك يابني آدم!

آدم : بتأمنى إزاي؟ بتأمني ليييه؟ ليه؟!

كمال : عشان إنت زي ابني

آدم : لو ليك ابن ماكنتش عرَّضت حياته للخطر كل دقيقة زيي!

كمال : لو ليا ابن كنت عملته بطل زيك!

صرخ آدم بكل طاقته

آدم : أنا البطل إللي إنت عايزه! مش إللي أنا عايزه! أنا صورة سلعة لعبة متفبركة، ما تفوق بقى! أنا كل يوم بصحى على كوابيس نفسي أكون أنا البطل مش الثعبان نفسي أكون بطل وأنا حي زي كل الناس مش وأنا ميت!

كمال : لو ما كنتش ابني كنت قتلتك آخر المشوار

آدم : واشضمَّني إنك ما تصفينيش آخر المشوار؟

اقترب كمال إليه بهدوء

كمال : إني هلبيلك طلباتك زي ما وعدتك بس افتكرني عشان احتمال ما شوفكش تاني

آدم : يا ريت

كمال : راجع نفسك في القرار

آدم : مش مراجع! أنا مش ملكك! ولاَّ تحب أروح للصحفيين إللي بيطاردوني وأقولهم على الموضوع من أوله لأخره وأقول للدنيا كلهاااااا!

أدَّى صراخ آدم لصدى صوت رهيب في المنطقة قبل أن ينصرف آدم بغضب الدنيا ويترك كمال واقفًا في المطر

❖ ❖ ❖

كانت الممرضة التي تتابع حالة ليلى تدخل إلى غرفتها بالمستشفى، وحاملة صينية بها عقار مركَّز، ولكنها فوجئت أن ليلى لم تكن بالغرفة، ذهبت تبحث عنها بجنون في كل ركن، حتى كشفت ما وراء ستار خلع الملابس.

ليلى : جيتي في وقتك ممكن تقفليلي السوستة دي لو سمحتِ؟ الفستان السواريه الجذاب على جسد ليلى كان في منتهى الأناقة، ابتسمت الممرضة وهي ترفع السوستة بعد أن وضعت الصينية جانبًا

الممرضة : الفستان هياكل من جسمك حتة! شكلك بنت بشوات وهوانم صحيح! ما تتصوريش قد إيه كل الناس إللي في المصحة فرحانين إنك اتعالجتي بسرعة، وحتى وشك اتغير وبقيتي زى القمر! أنا عارفة إيه إللي رماكي على ولاد الهرمة دول؟

ليلى : ما تجيبيليش سيرة الماضي، أنا رميته ورا ظهري خلاص!

الممرضة : طب وسي آدم؟ ماضي برده؟

ليلى : آدم؟ كنت أغبى إنسانة لما كنت نسياه، بس دلوقتي أنا بحمد ربنا إنه افتكرني

الممرضة : مش إنتي برده متشيكة كدة عشان تقابليه؟

ليلى : أمال هقابل مين؟ ولاد الهرمة؟!

الممرضة : يا خرابي على الحب وسنينه! هو كل إللـــي بيحبـــوا بيحلووا كدة؟

ليلى : طبعًا!

الممرضة : طب منا بحب على روحي من يجي ٣٠ سنة! ولســـة الواد صبي المكوجي مسميني أركان حرب ليه؟

ضحكت ليلى الفاتنة وهي تمشي مع الممرضة الخاصة إلى بوابة المصحة حيث كان ينتظر آدم في ســـيارته الـــ ١٢٨ ببدلة السهرة.

الممرضة : خدي بالك من نفسك وما ترجعيش قبل واحدة بالليـــل وما تاكليش مسلوق ومقلي ولا على البخار! وبـــلاش أسماك وجمبري وفسفور وكلام من ده، خليهـــا يـــوم فرحك يا ماما!

❖ ❖ ❖

كان لطفي و*Virus* في مركز المؤسسة السرية يتحدثان كالعـــاطلان عن العمل تحت أضواء حمراء خافتة شاركوا بعضهم في زجاجة بيرة

Virus **: إيه؟**

لطفي : إيه؟

Virus **: إيه؟**

لطفي : إيه يا عم؟

Virus **: إيه يا سيدي؟**

لطفي : أنا إللي قلت إيه؟

Virus : لا أنا!

لطفي : طب إيه بقى؟

Virus : هو إيه إللي إيه؟

لطفي : هو إيه إللي إيه في الإيه؟ هو في إيه؟

Virus : خلاص يعني؟

عاد لطفي إلى وعيه نسبيًا وهمَّ بموضوع الثعبان

لطفي : والله منا عارف أقول إيه!

Virus : في إيه؟

لطفي : بص هو معاه حق، الراجل تعب بجد تعب، حط نفسك مكانه، البلد نضفت تقريبًا

Virus : هاهاها! البلد دي من أيام الفراعنة عمرها ما نضـــفت يا برنس مصر دي قال إيه محروسة طب إزاى و"حاميها حراميها"؟ عمرها ما أحلوت!

لطفي : لا هتحلو إنت ناسي إن إللي بنى مصر كان في الأصل حلواني؟

Virus : لا لا! كلام فارغ أنا عارف مين إللي بنى مصر بجد!

لطفي : لا والله! مين بقى؟

Virus : أبويا!

لطفي : إزاي يعني؟!

Virus : عمل أول شيشة بالكهربة بتشتغل بالعداد! الـــنفس.. ببريزة!

لطفي : أبوك ضحى عشانك كتير مش زيي أنا ما حدش ضحى

علشاني!

وقف ***Virus*** وكأنه غضب غضبًا شديدًا!

Virus : نعم يا عمر إنت نسيت؟! أبوك! إللي باع شرفه عشان يدخلك الـ ***AUC*** أمك إللي باعت شرفها عشان تعينك! أختك إللي باعت شرفها عشان ترقيك! بعد كل ده! تقوللي ما حدش ضحى عشانك يا كرف!

❖ ❖ ❖

كإني اتولدت من جديد!، قالت ليلى في كازينو فخم جدًا وهادئ، أضواء خافتة ورومانسية في كل مكان، وعلى طاولة ليلى وآدم التي جلسوا فيها، مسك آدم يد ليلى بقربه، لتزداد عينا ليلى لمعانًا وجمالاً..

آدم : كان نفسي أشوفك كدة من زمان

ليلى : آدم مش عايزة تكون بدايتنا مع بعض بشكل.. غصبت علينا الظروف إننا نقبلها!

آدم : مش فاهم!

ليلى : مش عايزة تكون مضطر تقبلني على كدة، يعني أنا عندي شرخ في شرفي إنت عندك شرخ في حياتك.. و..

آدم : أرجوكِ

أخرج آدم خاتم سوليتير من علبة حمراء من جيبه وأعطاه لليلى

آدم : أنا عايزك مهما كان التمن!

ليلى : الله! جميل أوي، آدم أنا مش عارفة إنت..

آدم : أنا بحبك

ليلى : كل حاجة فيك بتغصب عليا أحبك!

آدم : يا ريت يكون بإرادتك!

ليلى : طبعًا أنا مستعدة أخدمك طول عمري!

آدم : مش عايزك خدامة عايزك حبيبتي وبس!

ليلى : حبيبتي! كلمة ما سمعتهاش من زمن طويل أوى مـــا فتكرش في كلمة أحلى منها في الدنيا!

آدم : فكرتيني بأغنية لأم كلثوم

ليلى : مين أم كلثوم؟

آدم : دي واحدة من زمن ما نعرفهوش

ليلى : وكانت مغنية؟

آدم : أبدًا كنت فاتحة بوتيك على أول شارعنا!

شربت ليلى من كأس الماء أمامها.

آدم : سيبك بقى من الكلام ده من النهاردة هنفرح هنســافر! هنعيش إللي فاضل من عمرنا!

ليلى : باقية عمرنا ده كام سنة يا آدم؟

نظر آدم جانبًا وكأنه كان لا يرغب في تذكر الحقيقة!

ليلى : عشرين، ثلاثين بالكتير؟ ما كدبش عليك حاسة إن إللي راح مش قد إللي جاي!

آدم : لو فاضل في العمر يوم لازم نقضيه وإحنا مع بعــض

كفاية إللي راح

أشعلت ليلى سيجارة من علبة آدم

آدم : ليلى تتجوزيني؟

ابتسمت ليلى وفي وجهها بعض الخجل

ليلى : أمَّال الخاتم ده عشان ألعب بيه؟

أخذ آدم الخاتم وألبسه في أصبع ليلى ثم قبَّل يديها بدفئ كبير

❖ ❖ ❖

في مكتب عزت، كانت الأوضاع غريبة فعلاً، كان الرجل يشعر بالغضب لأول مرة منذ البداية، وهو يحدث رجاله، في المكتب..

عزت : *Max* واختفى من فترة وبعدها الثعبان، انسوا *Max*، الثعبان فين؟

أحد الرجال : ما نعرفش يمكن..

عزت : يمكن إيه؟ الخطة بتاعتي ما تتحملش كلمة "ما نعرفش" و"لا يمكن"!

أحد الرجال : بيقولوا في ضابط في أمن الدولة اترقى عشان يعرف مين الثعبان وهيقطره

عزت : مش ضابط ده صحفي، "سيد الغلبان" من لا شيء إلى كل شيء، الداخلية مش هتصفي الثعبان.

أحد الرجال : إزاى بس ده أقل حكم عليه هيكون إعدام أو مؤبد

عزت : في فرق لما أصفيه بنفسي ولما الحكومة تصفيه، مش عايز أديله فرصة يتكلم ويقول الرواية مش روايته في الأساس

أطفأ عزت سيجارة على المطفأة

عزت : توصلوا للثعبان قبل سيد وخلي *Joe* وجماعتـــه هما إللي يقوموا بالواجب

أحد الرجال : وهنعرف مكانه منين؟

عزت : أنا هعرف مكانه!

❖ ❖ ❖

الفصل الثامن

الحقيقة

عاد آدم بسيارته أمام المصحة الساعة ١٢ نصف الليل ليوصل ليلى، كي تتابع علاجها، وبعد أن ودَّعها، عاد إلى بيته في قصر السكاكيني، دخل آدم من الباب الفخم إلى الصالون حيث كانت المدفأة تطرد برد الشتاء، وفوجئ آدم بصوت شخص غريب كان جالسًا في الظلام، "الثعبان، قاتل الخطيئة"؛ التفت آدم لصاحب الصوت، الذي وقف ليكشف النور وجهه وبذلته الأنيقة، حاول آدم جاهدًا الخروج من حالة الارتباك..

آدم : إيه يا سيد؟ دخلت هنا ليه؟ هو البيت ده إيجار جديد كمان هتحاسبني عليه؟

سيد : بص يا بطل أنا بقيت في مركز يخليني ممكن أحاسبك على بلاوي تانية كتير، بس إنت مش عارف موتك المفاجئ ده أثَّر عليا قد إيه

آدم : وعلى سهير كمان! ما قالتلكش إني طردتها لما شفتها في بيتي من غير إذن زي منا هطردك دلوقتي

سيد بيتك إيه يا آدم؟ إحنا عارفين كل حاجة!

آدم : إنتو مين؟

سيد : إحنا ناس ما بنقولش للشيء كن فيكون، بس الشـــيء إللي إحنا عايزينه بيكون بمجرد رغبتنا، إحنا العين إللي ما بتنمش في البلد، أخذت بنصيحتك ومشيت مع التيار واستغليت الظروف

آدم : عايز إيه قبل ما ادفنك هنا؟!

سيد : عايزك تكمِّل، تكمِّل مهمتك ترجع الثعبان إللي النـــاس مستنياه

آدم : أنا مش الثعبان!

رحل آدم عن وجه سيد ليجلب مسدسًا من درجه قبـــل أن يخرج سيد ورقة من جيبه ليقرأها بصوت عالٍ

سيد : آدم كمال مختار ٢٣ سنة، الجنسية مصري النوع ذكر الديانة مسلم الحالة متوفي!

آدم : إيه؟ بتقول إيه؟

سيد : ممكن أعيد، أنا بقرأ نبذة عن ملفك في أمن الدولة

آدم : اقرا الاسم كويس شكلك نسيت القراية!

سيد : إنت إللي نسيت أو ممكن نقول ما تعرفش!

❖ ❖ ❖

"كمال! مؤتمر النمسا شكله خد وقت كبير منك!"

قال الدكتور عزت وهو يحتسي كأسًا من الوسكي الاسكتلندي العتيق أمام كمال! وكان الأخير واقفًا هادئًا أمام مكتب عزت الذي جلس على كرسيه الفخم كالعادة..

كمال : بناكل عيش

عزت : إللي زيينا يا كمال باشا ما يكولش عيش زي الغلابـــة إللي زيينا ياكلوا البلد! أو ياكلوها والعة!

❖ ❖ ❖

سيد : كانت غلطة كبيرة وجايز ما تصدقهاش

آدم : غلطة إيه؟! (بكل غضب)

❖ ❖ ❖

عزت : لو هترضى بالفتات يبقى مالكش مكان جنبنا

كمال : أنا رضيت بحاجات كتير ونفذتها زي ما حبيت!

ضحك عزت برزانة قبل أن يرد بصرامة

عزت : بس عمري ما حبيت الخيانة يا صاحبي!

❖ ❖ ❖

سيد : غلطة أي صاحب ممكن يعملها في صاحبه في الزمن ده عمومًا

آدم : بشرفي هقتلك لو ماتكلمتش!

سيد : هتقتلني يا كوبرا؟ الصبر يا ثعبان!

❖ ❖ ❖

عزت : فين الثعبان يا كمال؟

كمال : قلتلك إني هصفيه بعد ما كل شيء ينتهي

عزت : إنت نفذت الفيلم مضبوط بس دي مش النهاية إللي أنا كنت عايزها

كمال : تعوز أو ما تعوزش الفيلم هيستمر للآخر واتفاقنا لسه ساري

عزت : بس إحنا اتفقنا إن الثعبان يموت في النهاية

كمال : النهاية لسة ما جاتش

عزت : عشان بتحضَّر نهاية غير إللي اتفقنا عليها، تنقذ بيها البطل!

كمال : مستحيل إحنا اتفقنا إن البطل يتقتل

عزت : تقتل ابنك يا كمال؟

❖ ❖ ❖

سيد : أيوه ابنه

أخرج سيد ورقه أخرى من جيبه وأعطاها لآدم

سيد : فحص طبي لأبوك المزيف استلمته أمك وهو مسافر نتيجة التحليل واضحة! أبوك إللي تعرفه مـــا كـــانش بيخلف يا آدم! بس كان شريف!

آدم : مستحيل! محاولة فاشلة طبعًا مش هتجرح في شرف عيلتي عشان توصل لأهدافك القذرة!

❖ ❖ ❖

عزت : الشرف! المسألة إللي النـــاس الغلابـــة بتوعـــك مـــا يقدروش يصلحوها غير بالدم

دخلت إلى غرفة المكتب نادية ابنة عـــم آدم، فاجـــأت كمال بوجودها، بدت غاضبة وهي تدخل للـــداخل مـــع حرس المكتب..

عزت : صلة الدم، طبعًا جيبتهالك عشان أوقَّر عليـــك ســـؤال "عرفت منين"! نادية بنت عم آدم سابقًا بس طالما آدم مالوش صلة دم بالعيلة، بل بصديق عمهـــا المخلـــص كمال، لازم تردله الألم لآدم زي ما فضحها في عيلتها! وزي ما ضيَّع شرفها تضيَّع شرف أمه، إزاي تســـمح إن وثيقة خطيرة زي تحليل طبي لجوز عشيقتك يفضل حي لحد دلوقتي؟!

❖ ❖ ❖

سيد : عشيقة كمال، كانت عشيقة كمال

آدم : (بانهيار) مستحيل!

سيد : كان دايمًا نفسها في بنت يا آدم!

تذكَّر آدم منظر أمه وهي تبكي أمام ساندرا الرضيعة!
وتقول نفس جملة سيد وانهارت ركبتي آدم

❖ ❖ ❖

كمال : **وهي نادية عرفت منين؟**

عزت : **حتى في الجهاز إللي إنت فيه في ثغرات كتيرة**

كمال : **فهمت؛ السمك الصغير صحيته!**

عزت : **طبعًا ناس زي سيد أو سهير كانوا جزء من اللعبة من غير ما يدروا، زي ما اتفقنا يا صاحبي زباين سوسن كلهم أصدقائي، وأخبارهم كلها بتوصلني، وسيد هو اللي نقل الخبر بالورقة دي لنادية**

كمال : **بس بنتي ماكانتش جزء من الاتفاق يا عزت!**

❖ ❖ ❖

سيد : **بنت كمال؛ أختك ضحية ماتت بسبب الـ *Satanists* الظاهر إن ليلى تار ثالث مع *Joe* صاحبها القديم!**
تذكر آدم ما قاله كمال عن ابنته؛ أخته!

❖ ❖ ❖

عزت : **آآه! كنت قلت من الأول إنك دخلت معايا اللعبة دي عشان تنتقم من إللي أذوا بنتك مش عشان المشروع!**

كمال : لو ليك بنت كنت انتقمت!

عزت : لو ليا بنت كنت حافظت عليها

❖ ❖ ❖

سيد : لو حافظت على ليلى النهاردة؛ ***Joe*** هيوصلَّها بكـــرة، ولو حافظت على بنتها يوم هتخيِّب أملك كل يوم

آدم : بنتها؟!

سيد : ساندرا بنتها من ***Joe***!

❖ ❖ ❖

عزت : صدمة! صدمة كبيرة! كنت فاكرك رجل أعمال نـــاجح تستغل الثعبان في مشروع ممكن يجيب مليارات للبلد! لذكرى الشهيد!

❖ ❖ ❖

سيد : إنت شهيد صفقة كبيرة، لو مشيت في الشارع هتلاقي إعلانات في كل مكان عن منتجات الثعبان

نظر إليه آدم بعجب الدنيا

سيد : حديد الثعبان، إسمنت الثعبان، لبان الثعبـــان، أفـــلام ومسلسلات الثعبان، أجهزة منزلية الثعبـــان، شـــراب الطاقة الثعبان، ملابس داخلية الثعبان!

❖ ❖ ❖

عزت : ما قداميش غير إني أنفّذ النهاية بنفسي، لحد كدة وأنا راضي بالنتايج

كمال : ابني مش هيستسلم

عزت : ابنك مجرد سلعة وأدَّت دورها يا كمال!

❖ ❖ ❖

سيد : سلعة زي أي ممثل أو مطرب تافه من بتوع اليومين دول، وبكرة يموت وينتهي!

❖ ❖ ❖

كمال : لو آدم مات استنى من الشعب ده تعبان جديد كل يوم يقضى على الغيلان إللي زيك

عزت : وجه نظرك مغلوطة يا كمال، الشعب المصري شعب طيب عايش في حاله وعايش بس عشان إحنا موافقين إنه يعيش

كمال : الأيام بينا يا صاحبي

عزت : أنا بحب البلد دي وببنيها على طريقتي

كمال : طريق القرى السياحية والاستثمار الأجنبي بتاعك عمره ما بنى غير الفقر والذل، أنت بتبني لمين؟ لأصحاب الثروة؟

نظر عزت إلى الأسفل قبل أن يفتح درج مكتبه ويخرج مسدسًا ذهبيًا ويتأمل فيه

عزت : فاكر يا كمال ثروتك ابتدت بإيه؟ مش كانت بالسلاح؟

كمال : أنا اديت السلاح للضعفاء عشان يحموا بيه نفسهم

عزت : تدي السلاح لناس كانوا بيدافعوا عن نفسهم بالحجارة؟!

❖ ❖ ❖

سيد : سلاحك الوحيد هو إنك لسه عايش لحد دلوقتي، وعارف الحقيقة، قدامك فرصة تثور على الأوضاع.

نظر آدم إلى سيد ووجهه مبلل بالدموع

❖ ❖ ❖

كمال : بالرغم من ضعفهم لسه أقوياء!

عزت : يا خسارة يا كمال كنت فاكرك صاحبي.

أطلق عزت رصاصة واحدة لتصيب رأس كمال مباشرة وتناثرت الدماء على وجه نادية التي انهارت رعبًا!

❖ ❖ ❖

سيد : إحنا يمكن مش صحاب بس أنا إنسان ثوري وكان طول عمري همي مصلحة البلد! افتكر البلد عايزاك دلوقتي، القرار في إيدك

رحل سيد تاركًا آدم وراءه منهارًا على الأرض ولكنه

عاد ليقول لآدم شيئًا آخر.

سيد : آه نسيت أعزيك في أبوك الحقيقي كمال باشا، كمال شخص حويط يظهر في الصورة شديد وفاسد، بس ده عشان يغطي على حاجات كثير زي تهريب أسلحة للفلسطينيين مقابل مبلغ رمزي، ماحدش كان يعرف إنه بطل؛ ماعدا المقاومة، بعد انسداد الأنفاق بمشروع الجدار العازل في رفح سنة ٢٠١٠، وماحدش يعرف هرَّب الأسلحة لفترة إزاي من المعبر! وبكدة بدأ ثروته.. مش بس بالرشاوي! مخبي حاجات كتير ورا هدوءه وبروده الغريب وتصرفاته الرزينة، هو أكيد راح عالم أحسن من إللي إحنا فيه ربنا يستر على إللي فاضلين!

كان *Virus* ولطفي في نفس المكان سكرانين إلى أبعد حد وبينما كان لطفي يضحك كالمجنون فوجئ *Virus* بأحد يمشي باتجاهه من وراء لطفي، *B-Joint*، نعم *B-Joint* الذي دخل المكان وكأنه يعرفه بكل أركانه

Virus **: لطفي!**

لطفي : *Virus*! *Joe*؟! (و*Joe* كان وراء *Virus*)

Joe **: *Virus*! أخبار أمك إيه؟!**

Virus : يابن الـــ..

❖ ❖ ❖

سيد : أكيد أكيد بعد ما كمال مات، كل شيء انكشف وعرفوا مكانهم، سهير كمان عرفت عنك كل حاجة!

❖ ❖ ❖

كان ***Joe*** و***B-Joint*** وعبدة الشيطان قد ربطوا ***Virus*** ولطفي فـــي مقاعدهم ووضعوا الكمَّامات على أفواههم! وبعد صـــراخهم المكتـــوم صب ***Joe*** و***B-Joint*** الجاز السائل على أجســـاد لطفـــي و***Virus***، ونشروا الوقود في كل ركن، وبعد أن أخلى الجميع المكان وقف ***Joe*** ورفيقه مُحدقين في لطفي و***Virus*** وأشعل ***Joe*** قداحته الفضية.

Joe : كان نفسي أقولك "اذهب للجحيم" زي الأفلام الأجنبي، بس أنا جبتهولك لحد عندك!

ورماها ***Joe*** لتنتشر النار في كل مكان وتلتهم أجساد الأبطال قبل خروج عبدة الشيطان الديمونز!

❖ ❖ ❖

سيد : وليلى كمان، ما فتكرش ***Joe*** وصحابه هيسيبوها بسهولة هما كمان أكيد عايزين التار! في النهاية القرار قـــرارك! ورمى سيجارته على الأرضية الخشبية ومشـــى بهـــدوء

إلى الخارج.

هرول آدم إلى الأعلى يتسلق السلالم بتهور ليصل إلـــى غرفة ساندرا وبعد أن فتح الباب وجـــدها تلعـــب علـــى الأرض بالميكانوا واستقبلته بقمة السعادة

ساندرا : آدهووووم! شفت عملت إيه؟ طيارة!

مشى آدم إليها وفي وجهه تعبيرات الغضب كلها

ساندرا : إيه يا آدم إنت زعـــ..

وصرح كالغول في وجه الصبية البريئة

آدم : اخرسي! اخرسي بقى!

تغيرت حالة ساندرا بشدة وانقلب مزاجها بشكل حاد إلى درجة أن الدموع بدأت تسيل مـــن عيناهـــا الجميلتـــان! والتهب صوتها الطفولي وهي تتحاشى البكاء عند الكلام

ساندرا : آدم إنت أول مرة تزعقلي!

آدم : أنا المفروض أقتلك! أنا عايز أقتلك!

والتهب صوتها أكثر بشكل أظهره البكاء الخفيف الـــذي يمتنع عن الظهور

ساندرا : كل ده عشان عملت طيارة؟

ورفعت الطائرة المعدنية إلى وجه آدم الذي ثار بثـــورة غضب العالم كله وهو يخطف الطائرة من يدها ويرميها على الأرض لتنكسر وظل يدهسها بقدميه حتى تـــتحطم أكثر واستمر في صياحه كالعادة

آدم : لأ! عشان إنت بنت كلب! إنت بنت ستين كلب! كان حظي اسود لما شفتك، عارفة إنت إيه؟

نظرت ساندرا بذهول إلى وجه آدم وحنجرتها محتقنة للغاية لدرجة أنها لم تستطع الكلام من البكاء الصامت والدموع السائلة والضيق المتناهي وصرخ آدم أكثر!

آدم : ما تردي! أنا عايز أسمعك! ردي ولا أقتلك عارفة إنت بنت مين؟

ساندرا : أنا بنت ماما اللي عند ربنا

صفعها آدم صفعة على وجهها لأول مرة، وانطلقت ساندرا في البكاء بعدها

آدم : أبوك! أبوك مين؟

أشارت بإصبعها على آدم بصعوبة وباليد الثانية كانت تمسح دموعها بفشل

ساندرا : إنـ إنـ إنـ إنت!

وقف آدم ليدفع بجسد ساندرا بعيدًا لتقع على الأرض وتصرخ من البكاء

آدم : إنت أكبر غلطة في حياتي! أنا كنت حيوان لما ربيت واحدة من الشارع! يا لمامة! اطلعي برة البيت ده! مش عايز أشوف وشك تاني! غوري من وشي!

❖ ❖ ❖

كانت سهير في حديقة فيلتها مع رفاقها من الصحفيين وأفـراد مـن العائلة، يُحضِّرون بعض الكباب المشوي على الفحم الساعة الواحـدة والنصف ليلاً، وانقضت منى على سهير لتحتضنها.

منى : حبيبة قلبي! وحشتيني!

سهير : أي! أي! بلاش ضهري يا منى حرام عليك

منى : أخ! سوري سوري جدًا! نسيت!

سهير : خدي طبق ولاد الكلب! ضهري اتقطع وأحمد وبركـات لسه في المستشفى!

منى : وهتكملي التقرير إزاي؟!

التقى حاجبا سهير بشدة قبل أن ترد

سهير : مفيش تقرير أنا سِبت الموضوع بتاع الشياطين ده مين عارف بعد كدة ممكن اتقتل

منى : كان زمانك ميتة لو الثعبان ما لحقكيش! بس معـاكي حق العمر مش بعزقة

سهير : وبعدين خلاص البوليس بيشأطهم دلوقتي! بعد مـا آدم طارد الدكتور وحيد

منى : آدم مين؟

سهير : آدم الثعبان

منى : إيه ده إنت كمان عرفتي يبقى مين طب دي مادة صحفية هايلة!

سهير : أنا قلتلك شلت إيدي تمامًا من الموضوع

وقلبت اللحم على وجهه الآخر على الفحم المتلهب

سهير : كل المعلومات إللي عرفتها اديتها لسيد وتلاقيه اترقى بعد كدة وشكله ناوي يدخّل آدم السجن! أنا من ناحيتي باقول ياريت

منى : أنا شامّة ريحة كره مش عادي، إنت كنت بتحبي الراجل ده؟

سهير : هو كان بيحبني وحفي ورايا عشان كلمة مني!

سمعت سهير أصوات طلقات الرشاشات من كل اتجاه ومنى فزعت كسهير قبل أن ترى الاثنتان ما حدث، سبعة أفراد وكانوا كل من كان بالداخل مصابين بطلقات في صدورهم ورؤوسهم، حتى أم سهير لم يكن الوقت طويل ليروا أيضًا عبدة الشيطان بأسلحتهم يدخلون إلى الحديقة ويركضون وراء منى.

صرخت منى بأعلى صوتها وراء سهير التي كانت منهارة تمامًا، وأمسك B-joint وGiganti بمنى، وألقوها على الأرض، أما Joe، صاحب رأس الجمجمة، فشد سهير من شعرها من الخلف وأمسك رفاقه الفتاة بإحكام وهي تصرخ، وجروها إلى الفحم الملتهب، وهمس في أذنيها Joe كالمريض النفسي.

Joe : ما كانش في فرصة نشبع منك، بس الليلادي قدامنا للصبح

أما *B-joint* و*Giganti* فكانوا يعتدون على منى بكل عنف وقسوة

B-joint : **إنه لحمًا حي ضحية لا تقدر بمال الدنيا!**

أما *Joe* فأخذ وجه سهير الفاتن ليضعه علـــى نـــار الفحم واستمتع بالمشهد دقائق عديدة وهي تقاوم!

Joe : **يالا يا شاطرة لسه الليل طوييل!**

حتى صرخت بكل شدة ووجهها يلمس الفحم ويحترق مرارًا وتكرارًا

❖ ❖ ❖

الفصل التاسع

ثورة الدم

"رايح فين يا أستاذ؟"، هذا ما قالته الممرضة لواحد من عبدة الشيطان الذي اقتحم باب المستشفى، الساعة الواحدة والنصف ليلاً، تجاهل ما قالته الممرضة تمامًا وبدأ يكسر زجاج المدخل بشومته الحديدية، وبعد دخوله تبعته Pain Fetish وسبعة برفقتها، دخلوا ليدمروا المكان بأسلحتهم اليدوية، حتى أمن المصحة هربوا رعبًا منهم، وكذلك بعض الممرضات والأطباء.

استيقظت ليلى من نومها بالغرفة من أصوات الصياح بالخارج، وهب في قلبها رعب كبير، كانت مازالت بملابس النوم، ركضت إلى الخارج بعدما فتحت الباب ووجدت الناس يركضون باتجاه مخرج الإسعافات، ركضت معهم حتى قررت فجأة أن تخرج وحدها من طرقة جانبية، ولكنها، وجدت Pain وزملاء الماضي أخرها، مشوا نحوها بسرعة قبل أن يحث الرعب ليلى على الهرب مع الناس، وقد فعلت، خرجت أخيرًا من باب جانبي مع الناس، حيث كان المطر الغزير يبلل الطرقات الضيقة وراء المصحة، العمارات كلها تشبه بعضها البعض، ظلت ليلى تفكر في الهرب وحدها مرة أخرى، فاختارت طريق أعزل من

السكان، أدى إلى منور المصحة من الخلف، الليل والمطر لم يمكنوا الفتاة من الرؤية أمامها، لذلك، اكتشفت أنها وصلت إلى أخر طريق مسدود حيث كان المنور، ثم توقفت، وحاولت العودة إلى حيث كانت، ولكن لمحتها Pain وهي تعبر من جانب الطريق، فعادت بسيارتها الڤان السوداء إلى الوراء ووقفت بها أمام ليلى المحاصرة، وكانت كشافات السيارة قوية وهي تحرق عين ليلى.

انهارت ليلى رعبًا وهي لا تسمع سوى أبواب السيارة الڤان تفتح وتغلق مع المطر، وبعدها صوت نعل Pain الأنثوى يخطو بخطوات بطيئة باتجاهها، ومعها رجلان، ظِل خمسة رجال داخل السيارة يستمتعون بالمشهد، وصلت Pain إلى ليلى المليئة بالرعب، ووضعت يدها على شعرها الأصفر المبلول، بلطافة..

Pain : أرى أنك عدتِ إلى الماضي يا فتاة! ولكن من الآن شدت شعرها بقوة فظيعة لتتألم

Pain : لن يكن لك مستقبل!

ورمتها بقسوة على الحائط لتصطدم به وتقع على الأرض، وفي الوقت الذي أحضرت ***Pain*** كرباجها أمسك بها الرجلان جيدًا

Pain : والآن نبدأ الحفل، أين الثعبان يا ليلى؟

ليلى : لا أعرف بحق الجحيم! أنا لست أمك يا ***Pain***!

Pain : أمي؟! المرأة التي ألهمتني الموهبة؟

تذكرت ***Pain*** حياة الشقاء التي عاشتها مع أمها في الماضي، كانت أم ***Pain*** - أو (فطيمة) وهذا اسمها الحقيقي- تضربها بداعي وبدون داعي منذ الطفولة حتى تفننت في تعذيبها، وكانت تُذيب شمعة كاملة على يديها إذا أخطأت، وكانت ***Pain*** دائمًا تصرخ حتى أحبت العذاب وأدمنته وأدمنت الصراخ!

Pain : أنت لا تعرفين كيف كافأت أمي!
تذكرت عندما أتت وهي طفلة وصبت حلة كاملة من الشمع الذائب على وجه أمها وهي نائمة، مما أدى إلى قتلها!

Pain : وأنت تستحقين مكافأة مثلها كأصحاب الضمير!

❖ ❖ ❖

سمع الجميع صوت محرك سيارة حاد أتٍ من بعيد، كان الثعبان، هذا الصوت معروف، وفي الخلف حيث لم يرى أحد، كان الثعبان يعود بسيارته إلى الخلف بسرعة هائلة، وقد حوَّل شنطة السيارة إلى صفيحة مائلة مثلما فعل لطفي سابقًا، ومن فرط سرعة اصطدامه بالقان، رُفعت القان من الخلف لتقف على وجهها، ثم تقع على ظهرها داخل الطرقة المغلقة، والخمسة بداخلها، يحاولون الخروج، ولكن الثعبان خرج من سيارته ووقف على بطن السيارة القان المقلوبة، وبمسدسه، أطلق رصاصة على ماسورة خزان الوقود، وتركه يسرب الوقود.

نزل من السيارة المقلوبة كالجندي، مرتديًا بذلة السهرة ولكنه احتفظ بالقناع على وجهه، والذراع الصناعي التي صنعها له لطفي، ومشى باتجاه Pain التي شاهدته بابتسامة صفراء، والرجال شبه خائفين منه.

"تلتقي مرة أخرى يا قاتل الخطيئة!" قالت Pain بهدوء، والرجال الخمسة يحاولون الخروج بصعوبة من السيارة المعرضة للانفجار، التفت الثعبان ليطلق شعلة طويلة جدًا من النار التي وصلت إلى البنزين المتسرب، وأشعلت النيران، وأشعلت رعب الشباب بالداخل، حتى انفجرت السيارة من وراءه انفجارًا أضاءت ناره الطرقة كلها للحظات، ثم أظلمها المطر..

الثعبان : كل شيء هينتهي دلوقتي!

Pain : كنا لسه في سيرتك، لقد حرقت أختي أيها العاهر!

رمى الثعبان مسدسه جانبًا وأخرج خنجره

Pain : غبي! كان من المفروض أن تطلق الرصاص!

استغل الرجلان اللذان أمسكا بليلى الفرصة وانقضوا على الثعبان، تمكن الثعبان من جرح وجه أحدهم بشدة حتى غطت الدماء وجهه، أما الآخر فركل الخنجر من يده وتمكن من ضرب الثعبان في المنطقة الحساسة ليقع أرضًا كالجثة، أخذت *Pain* الخنجر الذهبي من الأرض ونظرت إليه بسخرية

Pain : إذًا هذا هو الخنجر المسمم الذي تسبب في شهرتك!

قامت ليلى محاولة الهرب ولكن الـرجلان ضـربوها حتى قاربت من الغيبوبة! والتفتت ***Pain*** للثعبان مرة أخرى لتراه يقاوم الألم

Pain : يا ترى هل جرب الثعبان الموت بخنجره الذهبي من قبل؟!

وخلعت ***Pain*** القناع عن وجه آدم لينكشف وجهـه للجميع، صُدمت ليلى مما رأت!

ليلى : آدم!

Pain : هذا الطفل؟! اسمه آدم؟! هـذا النكـرة الـذي قتـل رفاقنا؟! هذا الشيء مثير للشفقة!

كشفت ***Pain*** رقبة آدم لتخدش رقبته كما كان يفعـل وسالت بعض الدماء منها

Pain : سأدعك تموت بسمك أيها الشاب! سم كوبرا الملـك الذي ظننت أنك تحمل اسمه

ليلى : آدم! (صاحت بجنون)

أخرج أحد الشباب حقنة مليئة بمخدر الـ***Venom*** ولكن هذه المرة الجرعة كانت خمسة مليمترات أكثر مما تتحمله قـدرة أي بشـر! أعطى هذه الحقنة لـ***Pain*** التي حقنتها فـي ذراع ليلـى بعـد أن صرخت وقاومت!

Pain : **خمسة مليمترات جرعة كبيرة تعلي الـــرأس ولكـــن تقتل، أردت كل واحد منكم قتيلاً.**

رمت الخنجر على صدر آدم الذي كان ملقـــى علـــى الأرض

Pain : ***Mike*****! امسح هذا الدم قبل أن تموت.**

Mike : **أموت؟!**

Pain : **واذهبوا إلى *Joe* لتبلغوه أن الثعبان قـــد مـــات وأن *Pain* تركناها تتلذذ في اغتصاب ليلى! هيا!**

ركض الرجلان بسرعة خارج المنطقة لتبقـــى *Pain* قليلاً وأكملت *Pain* كلامها لليلى

Pain : **بماذا تشعرين يا فتاة؟**

ظلت ليلى تختنق وهي تقاوم تأثير الجرعة وأمسكت *Pain* بها لتسند جسدها على الحائط وتلكمها لكمـــة وراء الأخرى ثم وقفت فجأة لتُخرج الكرباج

Pain : **أحب الطريقة التي أختم بها دائمًا**

وضربت ليلى بالكرباج عدة مرات حتى رن هاتفهـــا المحمول وعلمت أن الشرطة ربما تكون بالجوار

Pain : **إذًا يجب أن أترككما الآن أو أتركـــك وحـــدك أيتهـــا الساقطة أرى أن آدم قد مات فعلاً وقريبًا أنت! إلـــى اللقاء في الجحيم**

❖ ❖ ❖

خطت Pain في المطر لتعبر فوق جثة آدم بنعلها الطويل، وفجأة، "لم يكن مسمومًا"، هذا ما قاله آدم الذي أفاق من غيبوبته المؤقتة، ثم بعد كلامه في نفس الثانية، غرز الخنجر الذهبي الطويل، في رحم Pain، التي صرخت بكل طاقتها من فرط الألم، ريثما سالت دماؤها على خنجر آدم ويده..

آدم : تركت الخنجر السام لـ*Joe* ورفاقه ورفاقك

أخرج آدم الخنجر من رحمها لتقع هي على ركبتيها ويقف هو بصعوبة ليواجهها.

آدم : أنت كنت تطلبين الألم دائمًا وها أنا ألبي الطلب

وأدخل الخنجر في رقبتها لتقع جثة هامدة في المطر عيناها متسعتان على آخرهما، أما آدم فوقع على ركبتيه هو أيضًا من فرط التعب وألم رقبته ومشى بصعوبة إلى ليلى التي كانت تحتضر ومازالت الحقنة في ذراعها الأيسر

كان آدم في قمة الضيق والغضب والحزن وهو يحمل جسد ليلى الخفيف الناعم على ذراعيه، وسط نور المنور الخفيف والمطر الغزير بكى كالطفل وهو يرى ليلى تنظر إليه ببكاء خفيف أيضًا، لحظة دمار لكلاهما

آدم : ليلى ما تسيبينيش!

ليلى : آدم!

آدم : ليه خبيتي عني إنك أم ساندرا؟

ليلى : البنت إللي عندك في البيت! كنت حاسة إنها بنتي

آدم : ليه خبيتي عليا؟! (بصراخ حاد)

ليلى : أنا قلتلك أنت ما تعرفش حاجة من إللي أنا عيشته!

آدم : لازم ألحقك قبل

ليلى : آدم! أنا مش عايزة أعيش

صرخ آدم ببكاء حاد

آدم : بس أنا مش عايزك تسيبني تاني!

ليلى : المرة دي مش بإيدي حتى لو عشت كنت هموت بعد شهر إنت كمان خبيت عليا (زاد بكاء آدم الطفل أكثر).

ليلى : ما تعيطش يا آدم ما فيش ولا بنت في العالم ده تستاهل دمعة منك عارف ليه؟

ابتسمت ليلى وهي تبكى في الوقت ذاته

ليلى : عشان مفيش واحدة تستاهلك! وعارف حاجة كمان؟ مفيش إنسانة في الدنيا دي مش خاينة! وأنا خنتك كتير كتر خيرك لحد كده

آدم : لأ لأ! عايزك تعيشي وتخونيني كمان

ليلى : أنا عملت حاجات كتير وحشة أوي بس الدنيا كانت عايزة كدة، بابا عذبني وماما سابتني أضيع، وكل سكة كانت ظلمة، آدم!

بدأت تنظر إلى الأعلى وكأنها لا ترى آدم

ليلى : هو ليه الناس في الأفلام لما بيموتوا بيشوفوا نور؟

آدم : ليلى!

ليلى : أنا مش شايفة النور ده ليه؟ ليه كل حاجة سوده أوي

وانطلقت في البكاء تحت تأثير المخدر وقالت بحزن..

ليلى : كل حاجة سودة أوي!

آدم : يا ريتنى جيتلك من زمان!

ليلى : إنت فين يا آدم

آدم : مش شايفاني؟! أنا لازم ألحقك صدقيني في أمل!

ليلى : خليك جنبي يا آدم! أنا شفت النور

ابتسمت ليلى أخيرًا بعدما هدأ البكاء

آدم : ليلى! شايفاني؟

ليلى : (نظرت إليه) قربلي يا آدم

اقترب آدم من جسدها أكثر ليكتشف أن الدماء قد غرَّقت يداه، دماء جديدة دماء ليلى، استنتج أن *Pain* قد غرزت خنجرًا في أمعائها قبل أن ترحل

ليلى : شايفاك!

وقبل أن يقترب وجهها من وجهه وشفتاها من شفتاه همست ليلى لآدم بهدوء

ليلى : آدم خد بالك من البنت

وقبلها قبلة طويلة حتى ذاق آدم طعم الدماء في فمه، الدماء التي سالت من فمها إلى خديها، قبل أن تقع رأسها على ذراع آدم، ويسقط ذراعها، صرخ آدم كالمجنون الثائر في الطرقة والجثة نائمة على ذراعيه، صرخ ليملأ بصوته كل شارع، كل الضواحي، كل ركن في

المدينة، صرخ دقائق طويلة، ولو كان يستطيع أن يوصل صراخه للعالم كله لفعل، ماتت من كان آدم يعيش لها، ماتت ليلى.

❖ ❖ ❖

كان آدم يُرسل رسالة إلى شريف من هاتفه المحمول، وهو يقود سيارته، وقد ربط عنقه الدامي بشاش أبيض، غرق بالدم الأحمر، كان محتوى الرسالة: "لاقيني عند Max، إن كنت حيًا".

❖ ❖ ❖

Max، كان معلقًا من قدميه كالعادة في نفس الغرفة منذ السطو على صفقة المخدر، وكان شريف يشرب سيجارته داخل الغرفة، يشاهد Max وهو يأكل سندوتش، ويشرب العصير، بالمقلوب، طبعًا، ودخل آدم ليقتحم المكان، وأخرج شريف مسدسه قبل أن يلاحظ أنه آدم.

آدم : أنا آدم

شريف : الحمد لله افتكرتك ميت والرسالة دي تمويه

أخفض شريف الأسمر مسدسه وأخرج هاتفه المحمول ليضغط على بعض الأزرار، ورفع آدم مسدسه ليصوبه إلى شريف.

آدم : أنا فعلاً ميت يا شريف!

استغرب شريف لفعله آدم

شريف : إيه ده؟ أنت هتعمل إيه؟ أنا هتصل بكمال!

آدم : وأنا مسألتكش هتتصل بمين! كنت مستغرب كمال ليه

كان دايمًا يحذرني منك.

شريف : كمال حذرك مني؟ ليه؟

آدم : مش عارف! ورِيني كنت هتتصل بمين يا شريف!

شريف : (ضحك شريف بسخرية) آدم! جرى لعقلك حاجة؟

آدم : (صرخ آدم في وجه شريف) اشمعنى أنت إللي لسه عايش؟!

صمت شريف قليلاً وكأنه لا يفهم شيء

أدم : وريني تليفونك كنت هتتصل بمين؟

Max : إيه يا جماعة أنتوا هتخسروا بعض ولا إيه؟

أطلق آدم أربع رصاصات على جسد شريف ليسقط على كرسيه جثة هامدة

آدم : تفسير سهل، إللي تبع دكتور عزت بس هما إللي عايشين

والتقط تليفون شريف ليرى أنه كان سيتصل برقم غريب

أدم : دي مش نمرة كمال

Max : إيه النمرة؟

أعطى الهاتف لـ*Max* ليرى الرقم

Max : دكتور عزت باشا، لعيب لعيب

آدم : ما عرفش يلعب، كمال إللي قاللي أن شريف مش أمان!

Max : بص أنا عارف أني كرف بس بلاش تقتلني فل؟ هـا فل؟

آدم : عايزه

Max : مين ده؟

آدم : عزت، عايز أعرف أروحله إزاي!

Max : (ضحك بهستيريا) أنت عايز تنتحر أكيد، وش يعني

آدم : وأنت هتساعدني!

وصوب المسدس على رأسه

❖ ❖ ❖

"أنا في خطر، وما ضمنش إذا هتصفيني لو شفتني"، هذا مـا قالـه Max للدكتور عزت في الهاتف وهو معلق أمام آدم..

عزت : إيه إللي يضمنلك أنى مش هقتلك؟

Max : هبعتلك واحد من معارفي

عزت : وهتعرف عليه إزاي؟

Max : هو هيتعرف عليك، كلمة السر "راس الثعبان"

عزت : كلمة سر كمان؟ بتأجر بلطجية على آخر الزمن يا Max؟

Max : تلميذك يا دكتور، أنا قلت إللي عندي

عزت : طالما شريف قتل الثعبان شريف هييجي مع الراجل؟

Max : شريف مش هيضحي بعمره زيي يا دكتور

عزت : أنت متأكد إن شريف قتل آدم الثعبان؟

Max : كان بيقله يا آدم ما عرفش هو الثعبان ولا لأ!

عزت : واللي تبعك ده.. جاي دلوقتي؟

نظر *Max* إلى آدم فأجابه بإشارة من وجهه

Max : مش عارف ممكن يجيلك في أي وقت بس اطمن ده مش بلطجي ده سواق *Taxi*

صمت عزت كثيرًا والشك يقتله، صمت صمتًا مخيفًا، يدل على مكر لم تعرفه أمه من قبل، أخاف *Max* نفسه، ورد الدكتور سريعًا

عزت : أنا مستنيه!

وأنهى المكالمة فجأة ونظر آدم إلى *Max* نظرة تساؤل

Max : شكله مش مصدق بنسبة كبيرة

وقف آدم فجأة وصوب إلى رأس *Max* المقلوبة

آدم : كتر خيرك لحد كده

Max : لأ!

آدم : الثعبان ما بيعرفش يوفي!

وأطلق الرصاص

❖ ❖ ❖

ڤيلا سهير، الساعة الثانية والنصف مساءًا، كانت سيارة آدم المدمرة نصفيًا تقف فجأة أمام بوابة الڤيلا، خرج من السيارة ليجد البوابة مفتوحة، مشى كالسكران إلى الداخل عبر الحديقة ليجد جثث عدة،

وتعرف على جسد سهير العاري نصفيًا، واستنتج أنها ليست ميتــة، فقلبها ليكشف وجهها، المحروق، المشوه كليًا.

سهير : مين؟

آدم : سهير إيه إللي حصل؟ مين عمل كدة؟ وفين البوليس؟!

سهير : مش شايفاك يا آدم

آدم : أنا آسف على كل حاجة، بس لازم ألحقك واعرف إيــه إللي حصل؟

سهير : خدوا كل حاجة قدروا ياخدوها الكلاب، سيد عرف كــل حاجة، هو إللي قال حقيقتك لنادية بنت عمك!

وقف آدم فجأة بعد أن اكتشف خيانة سيد

سهير : آدم اقتلهم كلهم، كلهم يا آدم!

واحتضرت أمامه ببطء بعد أن نطقت أخر كلمة، وعاد شريط الغضب يجدد نفسه؛ في البداية كانت الأم، ثم الأخت، ثم ليلى، ثم الأصــدقاء لطفي وفايرس، ثم الأب، والآن آخر الأحباء، سهير! ولم يبقى أحــدًا غيره، ولا وقت للبكاء، إذا كان الموت محتم فلابد أن يموت بشرف! نظر آدم إلى سيارته العجوزة التي وقفت على بعد أمتار من ســيارة سهير الفخمة الحديثة، الــCherokee Jeep، ستة آلاف سي سي، ومد يده في جيب سهير ليأخذ مفاتيح سيارتها، ويركض إلى سيارتها مسرعًا، وهو يعلم إلى أين سيذهب بالضبط!

دخل آدم سيارة سهير الفخمة، أدار المحرك، وبشكل تلقائي عملت اسطوانة موسيقية لتشغل أغنية عربية جديدة، اشمأز مزاج آدم من الأغنية وضغط على بعض الأزرار بالتابلو حتى ظهرت موسيقى عنيفة، وأعادت له مزاجه الحماسي، وارتدى النظارة الشمسية التي وضعت على العدادات، وانطلق إلى حيث يلقى مصيره، ولكنه عاد إلى بيته أولاً ليُحضر بعض الأشياء، ويرمي قناع الثعبان في نار المدفأة، ونظر إلى القناع وهو يحترق أمام النيران، حتى يُصبح رمادًا.

الفصل العاشر

آثار الانتقام

"عشان كدة، ما كانش هاممني إذا هموت ولا لأ! ما بقاش في حاجة أخسرها، حتى نفسي، ما دريتش بالوقت وأنا بقرب أكثر من الفندق، لحد ما وقفت، وقمة الغضب في الدنيا بينصب علـــى شـــيء واحـــد، الانتقام، حتى كل حتة في جسمي كانت بتتحرك وأنا مـــش حاســـس بيها، وأنا بنزل من العربية، وأنا بفتح الشنطة، عشان أجيب شـــنطة الأسلحة إللي أداهاني كمال عشان استعملها وقت الخطر، والشـــنطة التانية، إللي كان فيها رأس الثعبان.

وعاد الشريط بي إلى البداية، بداية النهاية، عندما دخلت إلى الفندق وقتلت حراس مكتب عزت، مشيت بالاتجاهات حســبما وصـــف لـــي Max، حتى رأيت السكرتيرة، التي رأيتها تمارس الحب مع حـــارس الـــMainframe، الخنجر الذهبي وجد طريقـــه إلـــى معـــدتها دون وعى، حتى لم يبق في المكتب سواي أنا، والغول، الـــدكتور عـــزت، وقتلته..".

❖ ❖ ❖

"رصاص مُخدر، مش أول مرة"

هذا ما قاله أمشير وهو يُحدق في الرصاص المخدر الذي استخدمه الثعبان مع حراس وحيد مسبقًا، والآن مع رجال أمن الفندق حيث يوجد عزت، ضجة كاملة من عربات البوليس والصحافة وراء أمشير، الذي أحيط هو أيضًا برفاقه من رجال الشرطة بزيهم الأسود، خارج الفندق، في البوابة، حيث دخل آدم أول مرة.

أمشير : وأكيد نفس الشخص، طلعت! حراس الأمن صحيو؟

طلعت : هناك أهم يا فندم! صحيو

ذهب أمشير إلى حارسا الأمن الذين جلسوا تحت حراسة رجل شرطة، وأشعل أمشير سيجارة أخرى، ووجَّه حديثه إلى الحارسان

أمشير : كان شكله إيه؟

الرجل : عادي بدلة سوده، نظارة شمسية

أمشير : بالليل؟

الرجل : آآه! وكمان كانت رقبته متغطية بشاش والشاش والقميص الأبيض غرقانين دم!

استغرب أمشير مما قاله الرجلان ورد طلعت عليه

طلعت : ولسة يا أمشير باشا ما شفتش إللي حاصل فوق!

ركض أحد العساكر لأمشير حاملاً هاتفًا محمولاً

العسكري : سعادة الباشا رسالة جاتلك على المحمول

قرأ أمشير محتوى الرسالة

"المقطم، صخرة الدم الآن"

سيد الغلبان

❖ ❖ ❖

المشهد الأخير، من الانتقام، أمر آدم Max أن يتصل بـ Giganti قبل موته ليعرف ميعاد ومكان أقرب حفلة لعبدة الشيطان، لـ Joe وأعوانه، وكانت بالمقطم، عند وكر خاص اسمه صخرة الدم، وقد وصل آدم هناك.

"الجو المعتاد، العدد الكبير من الشباب، بالرقص اللاواعي في الموسيقى العنيفة، الأنوار الخافتة الحمراء، الشراشيب التي علقت من السقف، الشرب والمخدرات، والبعض يرتدي قناع ورقي شبيه بقناع الثعبان، نوع من السخرية، أقيم الاحتفال بمناسبة التخلص، من الثعبان، وتقاعد الدكتور وحيد ورفع الحصانة عنه، وعودة قانون الحريات، مرة أخرى!"

هذا ما قالته مراسلة القناة الفضائية التي كانت تتحدث من سماعة البلوتوث في الخفاء، في منطقة مظلمة بعيدة عن الناس، أما المذيعة بالقناة فكانت تسألها هاتفيًا على الهواء مباشرة..

المذيعة : هل تعرفين أيًا من الشباب الذين يحضرون هذا الحفل يا هالة؟

هالة : نعم *Giganti* أراه الآن عن بعد، أربعة وعشرين سنة

وكأن هالة كانت تحكي لكل منهم عن تاريخه وفى نفس اللحظة تذكر كل منهم ما حدث له

هالة : معقد نفسيًا من كل النساء منذ أن رأى أمه تخون أبوه أخته الكبيرة وعماته قسو عليه حتى بلغ العشرين سنة كانوا يعتدون عليه بالضرب والشتائم حتى أصبح شاذًا ***B-joint*** أو أسامة سمير، من أب مصري وأم أجنبية، لا يختلف كثيرًا عنه ولكنه عانى من تعذيب أبوه أيضًا وتجاهل أمه، كانوا لا ينفقون عليه بعد انفصالهما حتى اعتمد على نفسه لسرقة المال من النساء واغتصابهن ***Joe*** أو سراج عطا، هو الرئيس هذا الإنسان معقد فعلاً، يجلس دائمًا على كرسي العرش كالشيطان الغامض، الذي يجلس على مسافة منه، يرتدي الشاب جمجمة على رأسه وجلده تظهر منه العروق كالأموات، كان طالبًا ثوريًا بالجامعة وكانت كل البنات تكرهه، احتجز في قسم شرطة بعد قيادة مظاهرة بالجامعة، وعذبه الكثير من الضباط حتى انتهكوا عرضه وعرض أخته قبل أن يُنقذ أباه الموقف ويخرجه من السجن! اغتصب العديد من النساء وأوقع العديد من البنات في وكر المخدر والرذيلة، يُقال إنه قتل أمه وأباه ليرثهم، يحرق المصاحف والإنجيل ولا يؤمن بمبدأ العدل، يُشاع أن بعض الضباط غسلوا مخه!

مهلاً! لحظة يا منال أرى شخص غريب يدخل بين الحشد إنه غير مسلح يرتدي بدلة سوداء ورقبته مبللة

بالدماء يبدو غاضبًا وهادئًا للغاية ويمشي باتجاه ***Joe*** ببطء، الضجة لا تظهره بين الناس

المذيعة : ماذا يفعل هذا الشخص هناك يا هالة؟

هالة : عفوًا إنه يحمل قوسًا صغيرًا! شكله ناوي يعمل حاجة!

كان الشيطان الملثم بقناع مخيف جالسًا بعيدًا، على عرش عالٍ في الظلام لا يتحرك يشاهد فقط، وفي وسط الزحام رفع آدم قوسه، وأطلق سهمه ليُصيب رأس الشيطان مباشرة، لتلصق رأسه بالكرسي، لاحظ البعض ما جرى بعدما ثبت السهم في رأسه، ونظروا إلى آدم، الذي رمى القوس ومشى إلى **Joe**، توقفت الموسيقى بغتة، بعدما استقر آدم أمام **Joe**، الذي نظر إلى آدم باستعجاب كبير، لنظرة اليأس والغضب المكتوم في عين آدم، والجميع صامت، ومتأهب، دون مقدمات، حتى نطق آدم أول كلمة غاضبة مسموعة، بعد صوت الرعد في السماء..

آدم : ***Joe***!

نظر ***Joe*** إلى الشيطان ليجده ميتًا ثم أعاد النظر إلى آدم

Joe : وإنت كنت فاكر أنهم هيركعوا؟

آدم : أنا جيت عشان أقولك إني عمري ما كرهت ناس قدكوا، دمرت حياتي أمي وأختي وصحابي وأبويا وساندرا، فضلت طول الوقت تدور على الثعبان أديني

جيتلك بدون سلاح، بدون أي حاجة، عشان أشـــوف أكتر حاجة تقدروا تعملوها فيَّ تبقى إيه!

بدأ ضجيج الكلام بين المشاهدين من عبدة الشـــيطان بعد ضحكة ***Joe*** الكبيرة جدًا التي استمرت مع علـــو الكلام وانتظار آدم، ظل الحال لثواني عديـــدة حتـــى صرخ ***Joe*** لكل الحضور بالإنجليزية صرخة غضـــب حقيقية.

Joe : الصمت!

واهتز كالطفل المجنون على كرسيه مـــن انتفاضـــة غضبه وهدأ فجأة

Joe : عايز تنتقم بالشكل السيس ده؟

آدم : عشان أنا أقوى منك.

Joe : أوكي أوكي أوكي! لو إنت الثعبان تقدر تقتل بني آدم بجد؟ اتحدى واقتل كل دول دلوقتي.

آدم : مش عايز أقتل حد غيرك

Joe : خلاص اقتل كل واحد في دول لوحده لحد ما أفضل أنا تحب تبتدي بمين؟

آدم : ***B-joint***

Joe : وكمان عارف اسمه!

آدم : كان لازم أعرف اسم اللي اغتصب أمي

تذكر آدم شريط الأحداث مرة أخرى

Joe : عشان كده قلت إني قتلت أمك!

B-joint : غبي! آديك هتحصلها!

هجم *B-joint* على آدم الذي ظل ساكنًا حتى وصل إليه وبسرعة ملحوظة أوقع آدم *B-joint* على الأرض وانقض عليه ليمسك برقبته ويكسرها، أزعج صوت الكسر *Joe* والحضور للغاية.

Joe : *Giganti*!

رد *Giganti* بجبن بالغ..

Giganti : لن أذهب أنا!

Joe : دعنا نتخلص من الضعفاء أولاً

Giganti : أنت تمزح لقد قتل *B-joint*!

أخرج *Joe* مسدسه الفضي ليصوبه على رأس *Giganti* بغضب متهور.

Joe : وسوف أقتلك إن لم تفعل

نزل *Giganti* من سلم العرش ومشى ناحية آدم الساكن

"بوليس!" صرخ أحد الحضور بشدة ورعب لتنفجر ضجة جبن جماعية ويهرب الجميع إلى الخارج خوفًا من السجن إلا *Joe* و*Giganti*، الأخير الذي وقف خوفًا من رصاصة *Joe*.

آدم : *Pain* لم تأتي الليلة لقد أنهيت حياتها كما كانت دائمًا

تحب بالعذاب!

وبسرعة جبارة أخرج آدم خنجره السام ليخدش بـــه رقبة *Giganti* ويركض على السلم ليصل إلى *Joe*، الأخير أطلق رصاصة عشوائية أصابت كتف آدم بعد المراوغة، ووجد الخنجر الطويل طريقه بسرعة إلـــى رقبة *Joe*، غرسه آدم في رقبة *Joe* بكل قوة وغـــل حتى يذوق *Joe* طعم الدماء والسم في حلقه وفمـــه ويتألم بشدة ويحتضر، رفع آدم القناع من وجه *Joe* ليرى عيناه المتسعة على آخرهما تنظر إليه بغضب..

آدم : مشكلة كل الناس إن أحلامها مـــا بتـــتحققش، بـــس مشكلتي إني حلم اتحقق خلاص، دي اللحظـــة إللـــي كنت دايمًا بحلم بيها!

الفصل الحادي عشر

إنها مجرد بداية!

"هنا يا باشا، من هنا"..
قال العسكري لأمشير والضباط الكثيرون الذين دخلوا بأسلحتهم إلى صخرة الدم، كان الكهف فارغًا، وبه ثلاث جثث، B-joint، Giganti، وJoe على كرسيه بالخنجر مغروس في رقبته، نظر الجميع إلى المملكة المهدومة بتعجب، وسَكِينة، وصمت غريب، وذهول!

❖ ❖ ❖

"هتكون باتت فين؟ حضرتك عارف إن المدرسة هنا بتهتم بأولادها زي ما بتهتم بالتعليم، والبنت دي بالذات غالية علينا كلنا، مش عشان بس يتيمة، عشان بتحب الناس كلهم"، هذا ما قالته مديرة المدرسة عن ساندرا لآدم في مكتبها، وهو جالس أمامها، نظر آدم إليها دون تعبيرات معقدة.

المديرة : جت مشي في عز المطر والبرد ولولا عم جابر البواب عرفها ما كانش دخلها ولا نيمها في أوضة

المناوب

دخلت ساندرا إلى الغرفة مع مشرفة المدرسة، والتهبت رعبًا بعـدما رأت آدم، الذي نزل إليها على ركبته لينظر إليها مباشرة، ويحتضنها، بكت ساندرا من حنان آدم بعد قسوته، وحضنته أكثر، وأكثر، لدرجة أن جسمها التصق تمامًا بآدم، الأب الحقيقي.

❖ ❖ ❖

أشعل آدم سيجارته بقداحة كانت ليلى تحتفظ بها دائمًا، في ليل مظلم أضأته بعض الأنوار الفقيرة، أمام قبرها في تُرب العائلة، ولكنه نظر إلى السيجارة بقرف وتذكر أنها كانت بداية مؤلمة لليلـى الحبيبـة، فرماها ودعس عليها بقدمه، قامت ساندرا الصغيرة من نومها بعد أن فرشت الأرض بملاية سرير، ووضعت مخدة لها ولآدم، وظلت جالسة عليها محدثة آدم..

ساندرا : آدم هتنام؟

مشى إليها أدم وجلس أمامها

آدم : لسه شوية عايز أقعد مع ماما حبة!

ساندرا : إنت مش قلت إن ماما دلوقتي عند ربنا؟! هتقعد معاهـا وتكلمها إزاي؟

آدم : هي عند ربنا بس شايفانا وسامعانا

ساندرا : ما ينفعش تكلمنا؟

آدم : لأ

وابتسم بحب إلى الصغيرة البريئة

ساندرا : وحشتك أوي؟

آدم : طبعًا

ساندرا : أنا بحبها أوي كمان، على فكرة هي إللي عملت الطيارة الميكانو مش أنا، وأنا كنت بضحك عليك!

اتسعت ابتسامة آدم أكثر واقترب إليها

آدم : مش هتنامي بقى عشان تصحي بدري؟ عندك مدرسة بكرة!

ساندرا : حاضر

وركضت قليلاً ثم قامت مرة أخرى

ساندرا : ممكن أقولك يا بابا؟!

ركض إليها آدم وحضنها بشدة طويلاً

آدم : أشوف وشك بخير

ساندرا : إيه؟ أنت هتمشى وتسيبنى تاني؟!

آدم : لأ ده أنا بس قلقان عليك قلقان عليكوا كلكوا

ساندرا : ما تخافش يا بابا هنبقى كويسين كلنا!

ابتسم آدم بحب

آدم : نامي بقى

ساندرا : هتوصلني؟

قبلها على خدها

آدم : بحبك بحبك أوي

وخلدت ساندرا إلى النوم، بينما جلس آدم أمام قبر حبيبته، وظل يفكر فيما هو آت، تذكر أيضًا، حديثه مع الدكتور عزت في مكتبه قبل موته، أدرك آدم حينها أنه غبي! أين كان أمن الفندق الذين طاردوه؟ لماذا لم يصلوا إلى مكتب عزت بالطابق الأعلى؟ كان من السهل جدًا تتبعه! فإما عجزوا عن اقتحام المكتب، أو كانت هذه رغبة عزت! لم يكن يعلم أنه وبالرغم من أنه مجرم كبير، فهو أيضًا مجرم من طراز كلاسيكي بحت، يعشق اللعبة من أجل اللعبة وليس المال، فقد شبع منه! وكان شريط السينما يلعب مرة أخرى، شريط هام جدًا من مكتب عزت في لحظاته الأخيرة، عندما انكشف وجهه في نور خافت.

❖ ❖ ❖

عزت : من كلامه ما كنتش حاسس إنه طبيعي سواق تاكسي!
كنت حاسس إنك فاكرني إنسان ساذج يا آدم!
ظل آدم صامتًا بغل الدنيا الذي ملأ وجهه بالشر

عزت : على فكرة الـ*Mainframe* إللي أنت دمرته كان مجرد لعبة بالنسبالي ووحيد دلوقتي في السجن
سحب عزت نفسًا من سيجاره الفخم وازداد آدم غيظًا وهو يصوب السلاح على رأس عزت

عزت : آدم صعب تدوس على الزناد، كنت السبب في موت ناس كتير، غضبك كبير محبوس جواك من زمان وما تقدرش تطلعه في لحظة، غيظك كله مش موافق على موتي

عشان أنت نفسك في حاجة أشد من الموت للشخص إللي كسرك، الراس الكبيرة للفساد في البلد، معقــول؟ تكــون نهايته بسيطة بساطة رصاصة؟

ضحك الغول ضحكة صغيرة قبل أن يُكمل

عزت : الشعب تعبان يا آدم، كل ما بنعلى يتعــب أكثــر، مــش هيرتاح إلا لو نزلنا لتحت، وعشان ننزل لازم يلاقي بطل وعشان إحنا مشكلته الأساسية أنا ابتكــرت لهــم عــالم مناسب ممكن يتلموا فيه، وفي نفس الوقت أستفيد العالم ده دخلوا فيه عبدة الشيطان بــدل أي حاجــة تضــايق الشعب، بدل الجوع البطالة، الذل، الفقر، الفساد، ضــياع الكرامة حتى الاحتلال

عزت : تقدر أنت تقتل دول زي ما قتلت عبدة الشيطان؟ عملــت منك بطل، وكان البطل المفروض يظهــر عشــان يلبــي طلباتهم، البطل إللي ممكن يفضــلوا مســتنينوا ســنين، عشان ده ممكن الناس تضحي بكل حاجة علشانه، وتثــق في كل شيء يمت ليه بصِلة ومن هنا أنا استفيد، وفــي نفس الوقت ما عملتش حاجة غلط، هما طلبوا البطل وأنا خلقته والناس راضية ومقتنعة، وبدل ما تشكرني بترفــع عليا السلاح؟!

آدم : خلقت البطل عشان يدمرك، ربيت أسد في بيتك لحد مــا كبر وكلك!

عزت : أنا عارف أقرا أفكارك يا ابن كمال، إللي ألّف القصة كلها رجوع عبدة الشيطان مع كره وخوف الناس منهم وآدم الكوبرا الحلم إللي أصبح فكرة، الفكرة إللي أصبحت رجل، الرجل إللي أصبح بطل، البطل إللي أصبح صفقة، وسيلة الترفيه الحقيقية إللي الناس ممكن يعبدوها بدل الشيطان، ولحُسن حظنا الناس بتصدق كلام الجرايد والإعلام وكلامي فوق كل شيء، وأنت أكبر كدبة الناس صدقتها، كل حاجة كانت مترتبة ومرسومة، من أول موت أبوك المزيف وساندرا، لحد لمياء الست إللي قابلتها صدفة في البار.. تبع كمال بردة! بس للأمانة كمال مالوش يد في قتل أمك.

وصولك هنا بيدل إنك عملة نادرة، وممكن أوي لو دخلت الصفقة الكدب ييجي في مصلحة الجميع، كمِّل اللعبة معايا يا آدم ما تعملش زى أبوك، اتعلم تاخد أكتر ما تدي، أقلّه قتلي هيلف حبل المشنقة حوالين رقبتك، ولا هيودي ولا يجيب، إللي زيي في كل مكان في البلد وكل عصر!

آدم : واللي زيي هيفضلوا وراك لحد ما تدفع الثمن!

رمى آدم الصندوق المعدني أمامه على المكتب، الشنطة التي كانت من المفروض أن يضع فيها رأس الثعبان

عزت : لسه فاكرني ساذج يا آدم؟ واحد في حجمي هيفتح شنطة

زي دي ليه في ظروف كدة؟

وضحك بمكر

آدم : لو عمرك ما بكيت على شخص غالي عليك تبقى هي دي اللحظة المناسبة

عزت : تقصد إيه؟

آدم : كمال قالي على أسرار كتير بره لعبتك!

عزت : اللعبة كانت تحت طوعي وعيوني يا ابن كمال

آدم : بس عيونك ما كانتش في فرنسا، في السربون قسم السياسة والاقتصاد!

أذهل عزت ذهول عجيب من كلام آدم

عزت : إيه؟!

آدم : شاكيناز بنتك *20* سنة، طلبت رأس الثعبان، خلفت بوعدي وجبتلك رأس تانية

أسرع عزت في فتح الحقيبة المعدنية بجنون الأب الضائع وبعد أن فتح القفل رأى أمامه ثعبان كوبرا هائج للغاية، كوبرا الملك، في ثانية واحدة انقضت الكوبرا على رقبة عزت وسممتها، أنهت الـ *Naja Haje* حياته في خمس ثوانٍ فقط

❖ ❖ ❖

أمشير في المكتب، أمام جثة الدكتور عزت، مع ضباطه، مشاهدين فقط، ولكن آدم قد هرب بالفعل، من خمس دقائق، عبر فتحات

التهوية، سيطر على المكان صوت الكوبرا التي التفت كالعِمامة على رأس عزت، وحدَّقت في من ابتعدوا عنها بحذر.

أمشير : من رأيي أنسب القضية دي كلها لثعبان الكوبرا دي وخلاص! طلعت خُد الثعبان على الحجز!

ترك أمشير مسرح الجريمة وترك طلعت بالغرفة، وبعدما ذهل طلعت من كلمة أمشير، استقرت الكوبرا السوداء على رأس عزت، وصرخت كالهائجة أمام ضباط الشرطة بأسنانها الشريرتان، ولسانها الفاجر.

❖ ❖ ❖

أما آدم فكان قد مازال أمام قبر ليلى، ينظر إليه بوحشة، ثم قام ليقف قليلاً، ويفكر أكثر، الشرطة بالتأكيد تعلم أنه حي يرزق، سوف تبحث عنه وستجده عن طريق الطفلة، هو لا يفكر في ليلى الآن بقدر ما يفكر في ما هو قادم! لا خيار آخر سوى الهرب مع الفتاة خارج البلاد، فكما قالت سهير, ساندرا نقطة ضعف رهيبة تُعيق تحركاته بموضوع المدرسة! وماذا عن سيد هذا؟ ظهر فجأة كالحمل الوديع ثم اختفى بعد أن زرع بعض الألغام هنا وهناك! إن لم يكن يعمل مع الشرطة فهو مازال خطرًا, هو يعرف حقيقته ولن يفلت منه أيًا كانت الجهة التي ينتمي لها!

إذًا, هو الهرب! ولكن كيف؟ عن طريق البر إلى ليبيا باتجاه الغرب, كي يُحتجز مع المصرين في سجون الترحيلات, ثم تعلم السفارة

بأمره؟ أم عن طريق البحر شمالاً إلى إيطاليا كي يغرق كما غرق من حاول من قبله؟ إلى السودان جنوبًا حيث دارفور والحروب الأهلية؟! أم إلى الشرق برًا حيث إسرائيل مثلاً؟! وإن نجح في الهرب, هل سيترك البلد لعبدة الشيطان ثانية؟ هل كانت كل هذه الأكروبات لمجرد ثأر شخصي؟ وهل انتهى الثأر؟! الشر موجود دائمًا كما قال له الشيخ! عاد قانون الحريات الشخصية! أيترك البلد للقانون المفبرك وأمثال عزت؟ هل يبيع القضية؟ هل تبنَّى هذه القضية من الأساس أم أنها بطولة زائفة؟ المشكلة أن القضية أكبر منه بكثير!

هل يترك الثعبان؟! لا! صعب، صحيح أنه رمى قناع الثعبان في نار المدفأة ولكنه مازال بداخله، في دمه، في كيانه وكينونته! لم يكن الثعبان مجرد صديق، كان آدم نفسه! تقيأ في أول سابقة قتل له ولكنه أصبح قويًا، كلما ارتدى القناع أصبح شخصًا غريبًا عنه، جبار، سريع، محترف، مخيف لكل الأعداء، وبطل ذاع سيطه في البلاد، هل ستفتقده الناس كما افتقدوا العدل؟! الناس بحاجة إلى عدلٍ لا يعرفه القانون! هل هذه هي النهاية؟ أم أنها، مجرد بداية؟!

دخلت رأس آدم في دوامة بشعة، دوامة أبحرت به إلى مأساة هذا الشعب المسكين، الذي غرق في عبارة السلام ٩٨، وسقط في طيارة البطوطي بأميريكا في ١٩٩٩، وذُبحَتْ علماؤه من أجهزة المخابرات المُعادية منذ ١٩٥٢، وسُرقت آثاره، ومرَّت دبابات عدوه على جثته في ١٩٦٧، ذاق مرار الهزيمة في ١٩٤٨، ودُفن تحت صخر الدويقة، وهُربَّت أمواله إلى بنوك سويسرا لحساب أنذال كثر! وسُمم

بإنفلونزا الخنازير، وعانى من الفقر والذل والظلم وضياع الكرامة داخل وخارج بلاده، وانهرس في الفساد، وذاب في الروتين الممل، وتقيأ التلوث، وانتفض في المظاهرات، ودفع فاتورة الحرب، والسلام! وأخيرًا انتُهك عرضه من عبدة الشيطان، وفُرض عليه قانون الحريات الشخصية كما تُفرض عليه كل القوانين، وفشل في كل شيء حتى تحقيق أبسط أحلامه البسيطة، دوامة شعب كامل حمل قصة تاريخه سبعة آلاف سنة، وفي كل مرة كان ينتظر البطل، دوامة، كانت خُلاصتها كلمة قالها هو، وتنبأ بمصيره دون أن يدرك، إن مشكلة البشر في فشل تحقيق أحلامهم، أما الثعبان، حُلم تحقق بالفعل! ومن الصعب التخلص منه!

❖ ❖ ❖

شمس للنشر والإعلام

رؤية جديدة في عالم النشر

في مسعى جاد لتقديم رؤية جديدة تسهم في تصحيح العديد من المسارات في مجال النشر، تم تأسيس "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" كخطوة على طريق إرساء أسس مشروع ثقافي متكامل يهدف إلى نشر الإبداع العربي في كافة التخصصات، وإثراء صناعة النشر، وتقديم إضافة حقيقية إلى مسيرة الكتاب العربي، وفق رؤى متوازنة تجمع ما بين طبيعة عملها كمؤسسة تجارية تتطلع إلى تحقيق الربح والانتشار، ومابين تحقيق رسالتها الثقافية.

وتهدف "مؤسسة شمس للنشر والإعلام" إلى تحقيق عدد من الغايات:

- إتاحة الثقافة الرفيعة للقارئ العربي، وتلبية حاجاته من المعرفة.
- الإسهام الفعال في نشر الإبداع العربي، من خلال سياسات ترويج وتوزيع تتلاءم ومقتضيات العصر.
- تفعيل حركة النشر، خاصة لشباب المؤلفين، ورعاية وتشجيع المبدعين، ودعم قدراتهم الفكرية والأدبية، والعمل على نشرها وإبرازها.
- حماية الحقوق الفكرية والمادية للكتّاب، وإعادة صياغة أسس التعامل المادي مع المؤلفين وفق قواعد أكثر إنصافاً.

- التعريف بالكاتب والكتاب إعلامياً وجماهيرياً، ومد جسور التواصل بين المبدع والمتلقي.
- إثراء الحياة الثقافية بالأنشطة والندوات والفعاليات، من خلال رؤى تنظيمية وترويجية تضمن نجاحها والمشاركة الفاعلة فيها.
- الوصول بالإبداع العربي إلى القارئ غير العربي، من خلال ترجمة الإصدارات العربية المتميزة إلى لغات مختلفة، والعمل على خلق آفاق عالمية لنشرها بالتعاون مع دور نشر احترافية في العديد من الدول.
- توثيق الصلات بين دور النشر المحلية والعربية والدولية، وكذلك بين الكتاب والمثقفين العرب، والتواصل الفاعل مع المهتمين على اختلاف توجهاتهم، وفق صيغ تعاون إيجابية.
- إعادة نشر التراث المعرفي العربي ذي الإفادة في عصرنا، وتحقيقه وتدقيقه.

ويرتكز عمل المؤسسة على منهاج "احترام الكاتب والكتاب" مادياً وأدبياً ومعنوياً، وفق عدة معايير تقوم على الالتزام التام بأخلاقيات مهنة النشر. وتسعى لتقديم رؤية جديدة لصناعة الكتاب تشمل الدقة في انتقاء المحتوى، والجودة في إخراجه وتصميمه وتنفيذه وطباعته، والاهتمام بنشره وترويجه إعلامياً ودعائياً، بما يضمن له؛ في النهاية؛ مكاناً بارزاً في مكتبة القارئ.

شمس للنشر والإعلام

www.shams-group.net

(+2) 02 27270004/5 - (+2) 0188890065

شمس
للنشر والتوزيع
(+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤
www.shams-group.net